

صلاح محاميد

إسلامي

يوميات حربيته لشاعر فلسطيني يعيش في إيطاليا

مداخلات

رينسو أرتورو بيانكوني

ميلينا ميلاني

إينيو روسينيولي

منشورات سباتسيو كولتورا

مقدمة الطبعة بالعربية

لم أفكر قط ترجمة منشوري هذا بالإيطالية للغة العربية. لا بل رفضت الفكرة بتاتاً حينما كان يطلبه مني ناظمي الضاد. ذلك أنني أمقت اجترار الأحاسيس, لا أو من بترجمة غير الكتب العلمية المحضة ولأن المحتويات موجهة للعقلية الأوروبية, الإيطالية خاصة.

حاولت في "إسلامي" تعريف بعض مظاهر فحوى الإسلام بمنظار الذهنية النفسية لحضارة متقدمة اقتصادياً, تكنولوجياً وعلمياً بالنسبة لشرقنا. كان يبدو تذبذباً وساذجاً ترجمة معلومات وأحداث دارجة في مجتمعنا, كذلك إجحافاً بحق العربي تقديم الجانب العقلي المركب, المتطور باتجاه ما- وفي كل الأحيان مُغاير عمّا اعتاد عليه مواطننا- بلغةٍ وسردٍ مكثفٍ, ذا خواصٍ تتوافق ومقبولة مع المقاييس الأدبية وغيرها هنا.

وبالذات للسبب الأخير قررت ترجمة الكتاب, تقريباً حرفياً من الإيطالية للعربية. استخلصت بأن اللغة تشكل المعيار الأول والأهم لفهم البنية العقلية لناطقيها, لذلك في قراري هذا أنوي تقديم العقلية الأوروبية للقارئ العربي, وقبل أي شيء, من خلال السرد اللغوي, صرف وتركيب الجمل كما كتبت بالإيطالية, محافظاً قدر إمكاني احترام قواعد اللغتين. ومن ثم من محتويات السرد. والأهم أبغي إرجاع مفهوم الشريعة والإسلام لعنوان الثقافة التي بشرت بها بعد تسويغها بمنظار عصري وتوافقها مع جوانب الحضارة الحالية.

توجب إضافة مفاتيح للقراءة من قبل كُتاب وُقُاد طليان لتجنب التسطيح, النشاز, السرمدية, الطلاسمية والتعقيد.

المؤلف

الثامن من شباط لسنة ألفين وخمسة.

تقديم

بقلم رينسو أرتورو بيانكوني

حينما يُقال بأنه من غير المحبذ الكتابة بلغة غير الأم، يُرتكب زلة لسان أو على الأقل يتوجب الحذر. من حظنا أن هنالك من فُكر بطريقة مختلفة، وتكراراً التعبير بلغة مُكتسبه يؤدي إلى اختزال الإطناب، أن يُذكر فقط المضمون، الإحجام عن المواصفات، عدم المبالغة في انتقاء الجمل المعقدة وإطالة التركيبات في المنطق. ينطبق هذا على من لا يكون كاتباً مهنيّاً، على ذلك الذي يكتب في مناسبات ما، لهدف شخصي أو لإيصال فكرة ما.

وهذا أمر صلاح محاميد، طبيب، متعطش للمعرفة، مناضل من أجل العدالة، مشحود بالإنسانية، لكنه أيضاً شاعر.

عند قراءة كتاباته يطفو على ذهننا ما يقوله في جملة العظماء، كاتب ينتمي لنفس الأصل، الفيلسوف جبران خليل جبران: " ثلاثة هي الأشياء التي أحبها في الأدب: التمرد، التكامل والانتقاء. وثلاثة هي الأشياء التي أكرهها فيها: التقليد، الالتواء والتعقيد". إن أطروحة محاميد تتأسس على التمرد في محتوياتها وكذلك فإن خصوصية السرد متفاعلة: مُقتضية، دسمة تختلف عن أي نوع كتابي وفي أية لغة. ولهذا فهي تتجنب التقليد. أما بالنسبة للكمال فدعونا نصرح بأن الكاتب يثبتته في ذلك الأسلوب النحتي في الحديث، تقترن النهاية بالبداية دون الشرود والالتواء، كما يريد جبران، وتندعم الرسائل الثنائية والأهداف المضمرة. أما عن الانتقاء فيهنأ لنا تفسير مطلب جبران في الاتجاه الدامغ للكتاب: "الاستخلاص" والذي يؤدي حتماً إلى عكس التعقيد.

يمتلك صلاح محاميد موهبة الاستخلاص والاختصار، لا بل أنه مُجبر على هذا الأسلوب، عليه انتقاء المفردات بإيحاءاتها المؤكدة، وفي هذا يبدو لنا كاتباً يجول في رحاب اللغة الإيطالية وينتقي منها المفردات الدقيقة والضابطة للتعبير عن فكرته.

ليس من حقنا السؤال إذا كان قد فكر كتابه بالإيطالية، لكنه من الطبيعي الجزم بأن نوع التفكير يتعلق في اللغة المستعملة للكتابة. وأن علمنا بأن محاميد كان قد فكر كتابه هذا بالعربية لن يكون لنا سوى السعادة وتقديم التهاني له. وذلك لمنطقه الحاسم في كتاباته. يجد القارئ سرداً مستقيماً، وفي كل الأحوال نيراً ومُحصناً من تلك المواصفات التقليدية للفن الغرافيكي والبلاستيكي العربي، والتي تظهر تكراراً في الإشكاليات الأدبية، ونُعرفها في أوروبا بالأرابيسكي: الخطوط المتموجة عمداً،

التخطيطات الملتوية والمركبة. تنعدم صفة الارابيسكي في هذا العمل الأدبي لفنان عربي.

تشكل اللغة ملجئاً عاماً للتعبير عن مضامير, رموز وبواطن ذهنية في الأدبيات العربية المعروفة لدينا، والتي من خلالها نتعرف على تلك العقلية. في هذا الكتاب يتخطى المؤلف هذا المفهوم التقليدي. لقد سمعناه سابقاً كشاعر. وضاحاً, وثاباً, مصوناً ومباشراً في خطابه بحيث يبدو وكأن أبياته رسائل تليغرافيه. من المؤكد أنه كان قد فكر بوثيمة شظايا الروح بالعربية فقد ألقاها بلغة أمه بينما قرأ آخرون الترجمة. نستخلص أن كتاباته بالعربية توحى إلى أسلوب تفكيري مطابق لمنشوراته بلغات أخرى. أنه واضحاً, مشدوداً ومستقيماً حتى عندما يتعامل مع مسائل الدين الإسلامي, أو التقاليد المعروفة في مجتمعه, كيفية تكريم شهر الصيام, أو ذبح الأضحية وفق الشريعة الإسلامية. نادراً تصلنا هذه التفاصيل بتلك الدقة الغنية بالرموز الهائلة والحيوية وخاصة في هذا الوقت التكنولوجي الجاف حيث تبحث الحضارة باستمرار عن الرموز.

وبهذا يرافقنا صلاح محاميد مباشرة إلى فحوى الأحاديث (من المقهى إلى الديوان) وفقاً لرؤيته للإسلام, جاعلاً إيانا نشعر بكل تفاصيل المحيط, وكأننا نشتم روائحها ونتذوق طعمها. بين السطور نحس بتلك المرجعية الوحيدة والواضحة, شخصية الطبيب المهتم بالكائن البشري والمندفع تلقائياً للمساعدة ولإراحة الأجيال القادمة. هذا الاندفاع ينبع من إمامه بالطب النفسي: اهتمامه الأصلي. ينجلي بوضوح من هذا المزج بين العلوم والإيمان وإرادته ببناء جسر روحي بين الثقافة الغربية والعالم الإسلامي, واضعاً أسساً للحل في صيغة ثقافية عالية ومتخطياً تلك الفوارق الفكرية التاريخية والعقائدية.

هناك التعاطي في السياسة وهنا يتصف بالحرارية والاستنكار دون أن يفقد قدرته في العدالة، والذي تظهر ببيان في نقده الذاتي في توجهه لأبناء ملته. كذلك في تلك الفقرات التي تعرض جدلاً حاداً مشحوناً بنار الصراع , يستطيع صلاح أن يرافقنا إلى باحات الحلم بالكلمة الشعرية. يصحبنا إلى آفاق أمانة, إلى طوايا الروح العتيقة والهنئية, أو حينما يختم خلافاً حضارياً بقليل من الكلمات الشعرية. في حواشي سرد روائي, لا أحد يُعرّفه بالشاعري, في قلب القصة الواقعية والهائجة، يتدخل الشعر للتخفيف عن الوضع وتنفيس الروح. يكتفي الكاتب بالقليل من الكلمات لحسم معضلة: " فجأة أحسست بنسيم يسري في عروقي, ببرد ثلجي. شعرت بالرشاقة وبابتسامه تعلق في ذهني ونبضٌ واثقٌ في قلبي" في كل سطر في الكتاب نجد أمامنا شاعراً, بوريد متدفق, فُجائي ووضاء, شاعر لصور ذهنية منفصلة, مستقلة وصافية, تحوي صبغة روحية أحياناً, وفي كل المرات تثير القارئ.

وَفَوْقَ كل شيء يتقن الكاتب تلك الاستخلاصات التي نريد تلُفُّها دائماً مع كلمات جبران" الشعر شعاع ومضه, وحينما يتحول إلى صف كلمات يصبح تركيبات بسيطة".

روما 28 أيار 2002

مفاتيح القراءة

بعد تقديم هذا الكتاب في مناسبات أدبية مُهمة وعديدة ارتأى لنا إظهار المخفي ما بين السطور. عودنا صلاح في كتاباته على الاختزال, المجاز، وخاصة استعمال ما فوق البارادوكس كلغة خطاب. مع هذا يستطيع أي قارئ تذوق الكتاب لكن ليس دون تلك الخطورة في الوقوع بخدعة السطحية, والمباشرة في أطروحاته. تُعتبر أسطورة "الطفل الذي جلب السلام" مثلاً حياً لهذا: في كل قراءة جديدة أكتشف هالةً ومغازي فلسفية عميقة, لم ألاحظها قبل, تبثها الكلمات. كذلك الأمر هنا, وللتسهيل على القارئ, خاصة في نشر اليوميات بالعربية رافقنا الفصول, حيث توجب الأمر, مفاتيح للقراءة, ليصبح إسلام صلاح ملكاً أيضاً لبني أمته, كما أصبح من قبل إسلامنا.

المحرر ميلينا ميلاني

المحتوى

1.مبارزة في دكان الشيخ فتحي الواقع في قلب حارة المحاميد, الموهوبين لدى الله 14 أكتوبر 2001

اليوم, حوالي الخامسة فجراً, أفتت. كنت قلقاً ولم أستطع أن أكمل نومي. استحوذت على أفكار مسيرة الحرب, الصواريخ المُنهالة على أفغانستان, أمريكا التي تبغي العدل, الحرب الصليبية, المُلأه, الجهاد, انهيار البرجين التوأم رمز الحرية والرفاهية, محافظ نيويورك رودلف جوليانى الذي يرفض عطاء الأمير السعودي الوليد بن طلال, لأن الأخير يطالب أمريكا بمراجعة سياستها في الشرق الأوسط.

هذا ما سمعته من أخبار ليلة أمس من المرناة. أسئلة كثيرة لا تقلقني فقط, بل أردتُ تجنبها مُفضلاً الصمت والمراقبة.

نشرت, قبل أقل من شهرين, سربية "شظايا الروح" والتي قدّمتها في كورتينا بنجاح. تتحدث عن الصراع في بلادي, الأرض المقدسة. تبحث في مفهوم الحرب والسلام, وفيها رتبتُ قناعاتي حول تاريخ الأحداث التي تُؤلم شعوب منطقتنا. كنتُ أشعر أنني قد حللت, على الأقل لي, تلك المسائل المعقدة لأشكال وجودنا كفلسطينيين على الأرض. كنت أتمتع بإصداري الجديد, بتلك الصور والتوازن الذهني التي يقدمها الكتاب لكل من يقرأه. أردتُ بقصد وعناد استمرار شعوري بالأريحية للنقد الايجابي الذي ظهر في الصحافة, لإطراء المُقدم المعروف إينيو روسينيولي الذي يدير اللقاءات الأدبية في الصالة التابعة لفندق سافويا الفخم, لأصالة العرض الذي حُقق في تلك القاعة.

تكلّمت عن السربيه الكاتبة ميلينا ميلاني, تبعها الممثل أيروس زيكني والذي قرأ الأبيات بالإيطالية وهذه بدورها قد تحولتُ إلى غناء أوبري بأداء الفنانة أنا ماريادي فيلييو. تحقق عرض اختلطت فيه الأشعار الشرقية المُلقاة بالعربية والايطالية حاضنة موسيقى عمالقة مائستري الموسيقى في الغرب.

أردتُ الاستمرار بالاعتقاد بأن الأشعار تشكل خلاصاً للبشرية وحلولاً للصراعات. وقعتُ الشهر الماضي مأساة في العالم. أشعر بأن العالم يتقهقر إلى أبجدية التعايش وأسئلة كثيرة تطرح نفسها. ما هو الإرهاب, ماهي الصراعات, من هي الحضارة المتفوقة, كيف ستنتهي هذه الحرب, ماهو مستقبل البشرية, الأخلاقيات ومستقبلنا كفلسطينيين. ماهي المقاييس لتشكيل الحضارة. أسئلة لم أرد أن أتداولها, لكن عجلة الحرب قد تحركت. حقيقة جديدة أثارت شكوكي بقناعاتي بالتوازن الذي تُنجزه سربيتي.

دعوات معارف وآخرين في السؤال حول ماهية الإسلام, كانت قد حرفتُ انتباهي عن أبيات تتناسق بانسجام مع لوحات لرسام غربي, إرنيسو تريكاني .

فنان يمتلك روحاً حساسة, ذهنية مبدعة, طازجة, بعيدة عن الشيخوخة.

وهذا بفضل الفن. يقوم الإبداع بتحويل الأشخاص, الناس والمجتمعات, قابلة للإحساس وإرجاع روح الشباب, التفاعل والمساهمة في نبض الكون, مع ثقافات أخرى, في استيعابها, الانفاق معها أو رفضها لكن الاستمرار بالمعايشة بانسجام.

الرسام إرنيسـتو تريـكاني كان قد ألهمه نجاح العمل المشترك فأهداني لوحات أخرى تعبيراً عن إطراءه.

لا, لم أستطع أن أتصرف وكأن شيئاً لم يحدث والاستمرار بالصمت. وبهذا قررت أن أكتب, حينما كنت في المركز الرياضي في مدينته باسانو. أواخر الصباح. كنت مضطجعاً باسترخاء على تخت من خشب في غرفة الساونا, حينما طفا على ذاكرتي صوراً لحادث مصادمة يعود إلى أكثر من ثلاثين عاماً, دمغ مسيرة حياتي.

كنت في السابعة من عمري, وأبي محمود حاج خليل كساب, رحمه الله وأدخله فسيح جنانه, كان يُكن لي احتراماً ويعاملني بشكل مفضل نسبة لأخوتي الكثيرين. أعتاد أن يقدم لي الهدايا ويأخذني للتفسيح في المدينة. أراد دائماً أن أصحابه في زيارته لأشخاص مهمين, موصياً أيّ باّن أصغي, ألاحظ وأن لا أشرك في النقاشات. كان يُلهمني بأني المفضل لديه وأصبحت نشيطاً, شجاعاً, حيويّاً, من أوائل الطلاب في المدرسة وقائداً للأبناء جيلي.

سار كل شيء بخير حتى خسارتي في مباراة ساذجة أمام سادة المحاميد, الموهوبين عند الله.

شكّل دكان الشيخ فتحي مركز اللقاءات لأصدقائه وكل عصر تقريباً, حرص والدي على مرافقتي له هناك. كنت في حضن أبي والذي أتخذ له موقعا في شبه الحلقة التي شكلتها خمسة كراسي من قش في مدخل الدكان.

كان الرجال الخمسة يتجادلون, حينما فجأة دخل عبد الكريم لشراء شيء ما. وهذا زميلي في الصف, لكن تحصيله الدراسي كان غير كاف, كما هو الحال في ساحة القرية حيث أعتدنا لعب كل صباح كرة القدم.

في شبه الحلقة تواجد أيضا جد الزميل, والذي لا أعرف لأي الأسباب, كان قد أقترح مباراة بيني وبين حفيده: "أشتركم من يسبق في القراءة لنا سورة القارة". مشمئزاً من سطحية الطلب بقيت صامتا, بينما قام ابن صفي بقراءة السورة. فاز عبد الكريم في المباراة. شعر أبي بالخذلان حينما بدأ الحاضرون بالتشفي. رَجَرني الوالد أمراً أيّ التوجه الى المنزل.

بعد هذه الحادثة ورغم أن أبي كان متيقناً بأنني أحفظ سوراً أكثر صعوبة, توقف عن معاملتي بشكل خاص وانتهت الاعتبارات والاستحقاقات تجاهي.

صرت مُغلقة على نفسي، وأدمنت على قراءة القرآن الكريم، الكتب الدينية، وكتباً أستعيرها من مكتبة المدرسة ورائداً منتظماً لمسجد حارتنا. وهكذا كسبتُ رضا والدي. هذه الأيام، تكتب الصحف حول الحرب. يطالبني تكراراً الصحفيون بمقابلات والتوضيح حول الثقافة العربية، حول الإسلام.

يشتاق زعماء العالم، بعضهم يتوعد بحرب صليبية وآخرون بالجهاد، زعيمٌ يدّعي تفوق حضارته وآخر يتوخي الانتصار بالحرب، المبارزة. صباح هذا اليوم، استطعت أن أرقُد للنوم فقط بعد أن قرأت فقرات من مجلد عربي: "تاريخ الأندلس".

يشير المؤلف، عبد الرحمن الحجي، في آخر فصل (سقوط غرناطة) إلى بعض الستة والسبعين بنداً للاتفاق المُوقَّع من آخر خليفة مسلم والملك بطرس الرابع. وفق ذلك، توجَّب على الحكومة المسيحية، بعد إجلاء الإمارة الإسلامية، أن تضمن للمسلمين الباقين هناك، الحرية في معتقداتهم واحترام الأماكن المقدسة. وبعكس هذا يتحدث التاريخ عن تحويل المساجد إلى كنائس، عن ملاحقة المسلمين حتى زوالهم في شبه الجزيرة.

يطفو على ذاكرتي قصة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ثاني الخلفاء. كان قائد السرايا، في القرن السابع، لفتح القدس. المدينة مُهمة للمسلمين لان الرسول محمد " صلى الله عليه وسلم"، في ذلك المكان إليه حُولت السلطة الدينية من خَلْف النبي إسحاق عليه السلام إلى خَلْف النبي إسماعيل عليه السلام، من حيث ينحدر. استقبل بطريرك المدينة المقدسة الخليفة واهباً إياه مفاتيحها. وبعد أن تجّولوا في أرجائها ومع وصول موعد صلاة العصر، دعا البطريرك الخليفة إقامة الصلاة في الكنيسة. رفض الخليفة عمر هذا، لأنه حسب رأيه، يخشى أن يعتبره المسلمون بعد وفاته مسجداً. أقام الصلاة جوار الكنيسة، حيث بُني لاحقاً مسجداً يحمل اسمه ومنذ تلك الحادثة تُحترم الكنيسة كمركز ديني. هذا المثل لا يُشكل قاعدة للمقارنة بين الحضارات؟! ولكن لماذا علينا المقارنة؟!

لقد تداخلت الحضارات منذ آلاف السنين، تلك الرومانية كانت قد تبنت العقيدة المسيحية وجعلت منها عماداً شرقياً مُكتسباً وغير مُستغنى عنه للضرورة، وتلك العقيدة الإسلامية وُلدت مؤمنة بالمسيح ومعترفةً باستقلالية المسيحية. لماذا يدّعي، أبداً، أي غربي، كاثوليكي كان أم علماني، متحضر أو مُلحد، ملكيته، احتكاره للعقيدة المسيحية وجاعلاً إياها موازية لتلك العقيدة الإسلامية؟ هذا بالضبط يتناقض مع أسس الإيمان.

تُستعمل الاريني (عرين ، المسارح الرومانيه)، في الشرق الأوسط، كمراكز للعروض الفنية. لم تُدمر عن بكرة أبيها لمحو ذاكرة المُحتل والكثير من المدن تحمل ليومنا هذا أسماء رومانية.

لماذا علينا المجابهة علماً بأن وسائل الاتصال والتكنولوجيا المتقدمة قد قرّبت الثقافات, وشعوب الأرض يمكنهما تبادل الخبرات. رتّب التقدم التكنولوجي مصادر اقتصادية بحيث أن كل شعوب الأرض يمكنها أن تعيش برخاء وباحترام متبادل. في هذه الحرب, تظهر على السطح قيم ومقاييس مُقلقة ومع كل هذا أعتقد أن في تصرف بطريك القدس, وفي إجابة الخليفة المسلم هناك الكثير مما يدعو إلى التفكير.

مفاتيح قراءة.

1. تنضح في هذا الفصل علامات النرجسية المُفرط بها, عكس خصال الكاتب المعروفة: الموضوعية والتواضع. في خضم الهجوم العنيف على الإسلام والعرب. يلجأ الكاتب إلى رد فعل نفسي لاواعي يتصف بالثمنين العكسي, لذاته, مُقومات شخصيته وتاريخ حضارته. يقوم بهذا وعياً منه, للمحافظة على توازن كيانه وتحجيم هول إشتياط الرأي العام آنذاك.
2. تشير عدم مبالاته الظاهرية بالأحداث الدموية, المنعكسة باستمراره بطقوسه, الأمر المثير للغيرة وبالتالي الحيوية لجذب القارئ المحلي, إلى ثقته بشكل وجوده, بقناعاته وتراص كيانه.
3. يتبين للقارئ محافظة الكاتب على مُحصناته التربوية العائلية: يذكر أنه أستطاع النوم فقط بعد قراءته عن تاريخ الأندلس. يُذكر هذا التصرف بوقايته من انغلاقه حينما زجره والده لرفضه تحدّي زميل الطفولة فلجأ إلى الإدمان على القراءة. هنا يستقبل التحدي, بعد فك إصراره بعدم التدخل بما يجري, ومطالبة الكثيرين له بالإفصاح. استعداده هنا ينقض هنا الجو النرجسي الظاهر والضروري بالنسبة لجمهور قراءه ويتضح منه سمات المُحافظ.
4. يقصد في مبالغته بذكر أسماء المشاركين في نشاطه الفني بالتشبه بشكل وجوده, تعريف القارئ لنفسه ولمعالم الثقافة المحيطة به.

--

2. المناظر الحربية ل"أومبيرتو إبيكو" تُجمّد كاتيرينا
15 أكتوبر 2001

"مناظر لحرب شامله" هو عنوان مقال وقَّعه أومبيرتو إيبكو على صفحات الـ "ريبوبليكا". يصف فيه المؤلف احتمالات تطور الأزمة الحالية لحرب بين الغرب والشرق. يشيرُ إلى أشكال التحالفات المُتوقعة، يفترض أنواع الأسلحة التي يمكن استخدامها ودرجة الدمار الناجم. لكنه يؤكد أن المناظر الواردة في المقال هي ثمرة خيالية وفي كل الأحوال سيكون النصر للغرب.

التقيت أليوم كاتيرينا والتي تملك نصف سنوات عمري. تعرفتُ عليها أشهر خلت خلال لقاء أدبي. إنها فتاة جميلة وذكية، روحها حساسة، ويظهر من ذهنها أكثر نضوجاً نسبةً إلى جيلها. إنها تفكر كالكبار.

عندما تعرفنا، تقدمت إلي كاتيرينا بصوت هادئ، حذر ومتمعن، تتوخى المعرفة طالبةً: "لقد قرأت في مكان ما أن حضرتك تهتم بال نفس. هل تكون طبيباً للنفس؟".

"لا. لقد اهتمت بهذا لمدة سنتين. قدّمت أطروحتي في الطب النفسي. بعدها تدرّبتُ في ذات القسم. أكتب للصحف مقالات نقد في الفن تعتمد على أسس التحليل النفسي. لا أمارس الطب النفسي في مهنتي" أجبت وظهر من كاتيرينا خيبة أمل من إجابتي. " خساره " علّقت وبصوت مُنخفض وأخبرتني أنها قرأت كُتبي المنشورة.

رغبت استشارتي حول قلق نفسي ما. لاحقاً، خلال حديثنا عن الفن والنفس صرنا أصدقاء. ورغم أنني لا أمارس الطب النفسي فقد كاشفتني كاتيرينا عن بعض اضطرابات روحها وهكذا كانت علاقتنا قد توطدت.

كان كل لقاء بكاتيرينا مشحوناً بنسمات حيوية ونشوةٍ شبابية. كان يُسعدني من حديثها حريتها الواثقة، ارتخائها في التعبير، عدم قلقها. رغم أننا صرنا أصدقاء استمرت كاتيرينا بندائي بـ "حضرتك" علماً بأنني صارحتها بأنني أفضل بأن تتاديني بشكل طبيعي "أنت".

أشعر معها خلال حديثنا بأنني صديق - أب. أحسُّ بتقدم السنوات وأعيش ذلك الحماس الذي يسحبني إلى سنوات الماضي.

اليوم، أرادت كاتيرينا التحدث حول الحرب. ظهر منها إمعاناً في كلامها وانفصلاً بالنسبة لآخر لقاء. أرادت أن تعرف حول الإسلام وحول وضعية المرأة في المجتمع الإسلامي. حدثتها أن تأسيس الإسلام كان بفضل المُباركة السيدة خديجة أول زوجة للرسول صلى الله عليه وسلم.

بعد أول ظهور للملاك جبريل على الرسول محمد " ص " رجع الأخير إلى البيت مرتجفاً ومنفعلاً حينما كان يُحدث زوجته حول ما جرى له.

استقبلته الزوجة رضي الله عنها بعطف كبير وشجعتة على قبول الرسالة المُلقاة على عاتقه من الله عزّ وجل.

ذكرتُ لكاتيرينا أن عائشة، رضي الله عنها، آخر زوجات الرسول " ص " قادت بنفسها معركة ضد الكفار. استمررت بحديثي حول الخنساء والتي كانت تشارك في مجالس الرسول " ص " أرادت كاتيرينا المعرفة حول استعمال الحجاب، حول تعدد

الزوجات وحول حقوق المرأة وفقاً للشريعة الإسلامية. بدت كاتيرينا اليوم أقل استرخاءً في حديثها, لا بل قلقه.

شرحت لها حول اتساع محيط الإسلام, حول الاجتهادات لتفسير الإشكاليات, تطور الأحداث والطرق الحياتية, وأن بلادي تبعد كثيراً عن أفغانستان ونسائنا لا تستعمل الـ"بوركا" وتتعدم ظاهرة تعدد الزوجات.

أما هي فكانت تفكر بأن العالم الإسلامي واحد, متعاقد ومتساوٍ في كل أشكاله وفي كل الأماكن.

كان لقاء اليوم مع كاتيرينا ثقيلاً ظل.

ملاحظه: تمت اللقاءات مع كاتيرينا في عيادة الكاتب حيث كانت تعالج لديه. واحتراماً لأصول المهنة لم يُذكر هذا.

3. إسحاق الخليلي يَنشِلُ أمريكا من القرون الوسطى 16 أكتوبر 2001

يتناول جورجو بوكا في مقاله المنشور اليوم في ال"ريبوبليكا", بعنوان "خوف وأوهام أوروبا الهشه", الصراع بين نظامي القيم الغربي ونقيضه, الشرقي وخاصة الإسلامي, مشيراً بأن أحداث 11 أيلول دشنت هذا الصراع ويمكن أن ينتصر فيه الخصم المسلم حامل ومسبب تحقيق قيم القرون الوسطى. يتساءل الكاتب: "بعد ألف سنة نعود إلى البداية. وجلّ وإحباط لهما مكانهما في الوجود"

أصل بي اليوم إسحاق, وهو تقني معماري فلسطيني تخرّج في مصر. سنوات خلت هاجر إلى إيطاليا وبفضل عناده وجُده نجح في تنظيم نفسه هنا مقيماً ورشة لنفسه دون مساعدة أحد.

التقي بإسحاق بتشوق لأنه يهتم بالشعر والأدب. يواجه صديقي مسائل الحياة اليومية ببساطة. يرفض أن يُعقد الأمور. يبدو دائماً فرحاً وخفيف الظل. يكتفي بالقليل, يثق بنفسه, متفائل ويحب الحياة. يظهر منه استعداد المتفاني لتقديم النصائح.

عادةً عندما يسمعي متذمراً, يقف. يتجه إلى مرآة الحائط, يفك أزرار معطفه ثنائي الصدر, يُخرج من جيبه الداخلي مشطاً, وباهتمام ينظم شعره الأشعث والفضي, وبعدها يُنزل برؤوس أصابعه خصلة شعر على مركز جبينه. ومن ثم يشعل سيجارة مالبورو بقداحته الذهبية. بعد أن ينفث الدخان يُعلق على تدمري: "دخّن عليها تنجلي!" تُبسطني حركة إسحاق وتكراراً أتذمر إليه.

إسحاق متهم, غير أنه يتابع تنفيذ أفكاره حتى التحقيق. مُنظم في صفاته وعنيد الرأي.

" عنيد ككل الخليلي!" هكذا لاحظت له مرة خلال نقاشنا. "خليلي يقولون وليس خليلي. مع كل الأحوال فأنت لست أقل عناداً" وضّح بسرعة وبتدقيق.

خليلي هو نعت لسكان الخليل. وهو صفة سيدنا إبراهيم عليه السلام ويعني رفيق القلب وهناك يقع مقامه.

خليل, قدس, ناصره (هكذا تُسمى بالإيطالية), تكون بين القليل من المدن, لاحظت, والتي تتقدمها أُل التعريف في اللغة العربية لتصير الخليل, القدس والناصره.

وُلد إسحاق في تلك المدينة ويتصف سكانها بالاعتزاز بجذورهم وبصفة العناد. أشارك إسحاق ببعض هذه الخصال حتى صرت أعزي هذا التشابه لأصلي: "أنا أيضاً خليلي, المحاميد, وهم الموهوبين لدى الله, هاجروا مع الجبارين, المذكورين في التوراة, كعمالقة, من بيت جبرين الواقعة بضواحي الخليل قبل خمسة قرون". قلت مرة لإسحاق.

" بالخلم يا عزيزي ستصبح خليلي. من أجل ذلك عليك أن تحمل بعض الصفات " أجابني إسحاق.

"وما هي تلك الصفات؟ لقد نرحنا من هناك لأننا نملك أصالة روح أبينا إبراهيم عليه السلام" أجبت.

أستعلم بعدها إسحاق من هذا وتأكد من صحة كلامي.

" خليلي وأيضاً أصيل لأن آبائي وأجدادي كانوا قد طبّقوا بحذافيرها مسالك النبي عليه السلام. هجروا المدينة بسبب سوء الظروف هناك حينها، كما كان يفعل أبونا عليه الصلاة والسلام. لم يكن يُصّر بالبقاء حيثما ساءت الظروف. هجر العراق بسبب انتشار البؤس، الفساد والانتهاكات. أشار إليه الله عز وجل للهجرة والرحيل صوب الأرض المقدسة. لكن أيضاً هناك لم يتمركز في مناطق حينما كان يثير تواجده صراعات مع القبائل المحلية. لم يتمركز في مصر. كان يهاجر تابعاً إشارة الله سبحانه وتعالى. لقد ترك المحاميد والجبارين ديارهم قبل خمسة قرون لإشباع غريزتهم في الحرية. أما أولئك الذين بقوا هناك وما زالوا، مثلك، فهم لم يفهموا شيئاً من روح أبونا عليه السلام" شرحت لإسحاق والذي بدوره علق ضاحكاً.

"فعلاً، الآن تثبت بعنادك هذا بأنك خليلي أصيل!"

" أنت أيضاً تتبع غريزة الحرية. يُثبت سفرك من بلدتك واستقرارك هنا بنجاح، أنك حافظت على صفات روح أبونا عليه السلام" قلت لإسحاق والذي ردّ بسرعة:

"لا يا حبيبي، هذه قضية سياسية. أعيش في إيطاليا بصورة مؤقتة، لأنني أصر على الرجوع إلى بلدي".

أستقر إسحاق في إيطاليا بسبب الأوضاع السياسية في بلادنا. لا يمكنه العودة هناك، على الأقل، حالياً. لقد حقق رغباته في إيطاليا وحيداً، دون المساندة والعطف العائلي. اليوم تحدثت معه حول الحرب القائمة وقد لاحظ أن أمريكا تنوي حكم العالم.

" دمرّوا العراق. يدعمون إسرائيل ومن أجل قيام الدولة الفلسطينية علينا أن نحصل على التبريكات الأمريكية".

" هم رؤساء العالم. لقد هزموا الإتحاد السوفييتي وبعد هذه الأزمة يظهر أنهم يتصادقون مع الصين".

" هذا العالم غريب! كل شيء يتحرك وفق المصالح. عدو أمس يصبح صديق اليوم " من السهل أن تصبح أصدقاء لأمريكا، خاصةً نحن الخليين. نشترك مع الأمريكان بصفات كثيرة. هم كذلك مهاجرون. إنهم أبناء العالم، وخاصةً أوروبا، النازحين، المفلوظين من عصر ظلام القرون الوسطى والذين تبعوا الحرية، كما فعل أجدادنا الأولون. لقد نرح إبراهيم عليه السلام ووطنه، العراق".

"مع فرق بسيط. لم يضايق إباؤنا السكان المحليين أينما هاجروا وتواجدوا، وكانوا ينفذون مشيئة الخالق".

" المهاجرون إلى أمريكا هم أيضاً يؤمنوا بالله. لقد نشروا المسيحية. نقلوا الحضارة للسكان المحليين".

" لكنهم انفصلوا عن بلادهم الأصلية خالقين شكل وجود جديد للإنسان"

"شكلٌ لا يتعارض مع ذلك الأوروبي. ولهذا فأنهم قد ساعدوا أوروبا بعد الحرب الكبرى الثانية. لم ينسوا جذورهم!".

"ونحن لا نعمل شيئاً للعراق. لقد أدى تضامن عرفات مع العراق في حرب الخليج إلى عقابه وعزله عن المجموعة الدولية".

"فعلاً، تعادي أمريكا العراق وفلسطين وتضع شعبيها تحت المراقبة"

"لأننا نتشابه معهم. نحن مهاجرين مثلهم. توجب علينا مواجهة المجهول ولهذا فإننا كنا قد ربينا خصالاً مشتركة".

"مع فرق آخر بسيط. أبونا إبراهيم عليه السلام الذي أسنقر في الأرض المقدسة قدم للبشرية مع من خلفه الديانات التوحيدية"

" يريد الأمريكيان أن يقدموا للعالم مفهومهم للحرية، للديمقراطية والحقوق المقدسة للمواطن"

"يقومون بهذا مستعملين العنف"

"مشروع مارشال إنساني مطلق. حرب كوسوفو لم يكن لها أي مصلحة سوى توفير الديمقراطية والحرية".

"يريد الأمريكيان أن يشعروا بأهميتهم في العالم. أن يدمغوا التاريخ البشري. وبهذا يشبهوننا. لقد دمع الخليليون تصوراتهم على كل الكرة الأرضية!".

"يمكن أنه بسبب هذا يعاملوننا كخصم. يكرهوننا ويراقبوا فلسطين والعراق!"

"الوجه الآخر للعملة هو الحب. أو من أنهم يحبوننا، وبشكل غير مباشر يعترفون بنا وإلا كيف تفسر أنه على عملتهم يكتبون - نحن نؤمن أو نتوكل على الله - علماً بأن التوحيدية فكره إبراهيمية خالصة".

"الدولار هو إله أمريكا!".

"غير صحيح , إنهم يُصَوِّرون على الاعتراف بالله على عملتهم".

"الاعتراف بالله بهذا الشكل يعطي الانطباع أنهم بعيدون عن إرادة الله الحقيقية".

" يمكن أنهم يذكرون الله ذو الجلالة على أحد رموزهم التي تُمثل جبروتهم كي لا ينسوه".

"الله عز وجل ليس بحاجة أن يتذكره الإنسان. يحتاج المخلوق أن يكون قريباً من الله سبحانه وتعالى".

" العملة الورقية الأكثر انتشاراً بين السكان تخدم لتذكير المواطن بالله الخالق".

" لكن إبراهيم عليه السلام لم يستعمل القوة لنشر تعاليمه".

"كان النبي يحميه الباري. يجب أن تعطيههم وقتاً حتى يفهموا أنه أيضاً دون عنف يمكن دمع اسمهم على سجل التاريخ, حينها سيكتشفون أننا أصدقاء حقيقيون وسيطلب منا اقتراحات. في ذلك الوقت لن يكون لدينا حاجة لدوله فلسطينية"

م.ق.

يستعمل الكاتب وسيلة الدفاع اللاواعية التخلص, التسامي أو التبخير وتوجه فوق البارادوكس .

من خلال الأولى يتخلص من قلقه الناتج عن شراسة عدوانية خصمه بوصفه بالمتشابه له وإمكانية مصادقته, من الثانية تعيين ثغرات ونقاط ضعف خصمه. وبشكل واعي يجد لأطروحاته أرضية أنثروبولوجية حقيقية. اعتبار الأمريكي صديق هو توجه خطابي فوق بارادوكس.

4. زيارة المجاهد الأسطوري خالد بن الوليد , رضي الله عنه 17 أكتوبر 2001

أصبحت مُطبّقاً لتعاليم الإسلام, لحسن حظي, في النصف الأول من سنوات السبعين, قبل هبوب تلك الموجه الدينية التي جرفت الشرق الأوسط في ذلك العقد إثر نجاح ثورة الخميني في إيران.

اتخذتُ قراري هذا بعد تمحيص وكان صعباً. كنت الوحيد من أبناء جيلي الذي يقيم الصلاة خمس مرات يومياً ويقوم بالصيام خلال شهر رمضان المبارك. حرمتُ نفسي من مجارة عادات أصدقائي وطقوس إخوتي. ولكن في المقابل, كنت أتمتع باحترام, بكل ما تحويه الكلمة من معاني, من قبل والدي والكبار الذين راودوا المسجد.

اعتادت أُمي تكراراً, انتقاد جمودي في تنفيذ الشرائع الدينية بحذافيرها, كذلك كان أبي يحاول إقناعي بشكل مستمر بعدم جدوى نهوضي فجراً لتأدية الصلاة, وأن الله سبحانه تعالى لا يوجب هذا على طفل مثلي.

رمضان هو الشهر الذي خلاله يتوجب على المسلم أن يصوم من الفجر حتى الغروب. بفضل تلك الفترة السنوية استطعت أن أطور صفاتي كشخص مُستقل وأن أتعرف على الكثير من أسرار الروح.

كنت أفرض على أُمي إيقاظي ساعةً قبل الفجر لتناول السحور, وهذا وجبة دسمة تُستهلك لمواجهة صعوبة الصيام: بيض مقلي, لبن, شاي, قمر الدين, لوز مُكسر مُحلى, وثمر.

في تلك الساعة من ذيل الليل, كان يظهر على والديّ مشاعر المودة والتقارب, لحظات معدومة, أمام بقية أخوتي, خلال ساعات النهار. كان يبدو على أبي الهدوء, يتكلم بصوت خافت وعميق, بكلمات متقطعة ومُفصّلة. كان يساعد أُمي في تحضير السحور وأُمي كذلك بالمقابل تحافظ على صوت هادئ وعاطفي.

في تلك الساعة حيث الصمت سيد الموقف, كانت تصل ألسن أخوتي المُنتظمة وصدى طبل الشيخ خليل, الذي أعتاد أن يدور في شوارع القرية, يهلل بأبيات دينية لإيقاظ المؤمنين ويقرع الطبله للسُحور.

سكن الشيخ خليل في الطرف الآخر للبلدة حيث يقع منزلنا وتشرف والدي أن يدعوه معظم المرات لتناول السحور. كنا نستمر بتناول الطعام حتى ينادي المؤذن لصلاة الفجر فنشرع الصيام, ومن ثم أقيم صلاة الفجر جماعةً مع أبي والذي كان يتوجه رأساً للعمل. أما أنا فقد كنت أرجع للنوم.

في الصباح كنت أفيق متأخراً حينما يتناول أخوتي طعام الفطور: شاي، زعتر، زيت وزيتون.

امتنعت أيام رمضان مشاركة أصدقائي في مباراة كرة القدم قبل ذهابي للمدرسة. كنت أتوجه، خلال فرصة الغداء، إلى المسجد لتلاوة القرآن الكريم ولأداء واجباتي الدراسية. بعد انتهاء المدرسة أتوجه مرةً أخرى للمسجد وقيام صلاة الظهر قبل رجوعي إلى البيت.

حرصت أُمي كل يوم، الاطمئنان على استمرارتي في الصيام وكانت تنصحني بالاستراحة. بعد القيام بصلاة العصر كنت أتوجه إلى البساتين القريبة لقضاء الوقت برفقة كتاب.

في تلك البساتين المُسمّاة عين خالد، تسميه تعود، يُقال، إلى المُجاهد الأسطوري خالد بن الوليد رضي الله عنه، جعلت هناك من مرتفع ترابي، يطل على الوادي الطويل الذي يتدفق ليلتقي بأقدام هضاب عين الزيتون، مركزاً لي. كنت أقرأ الكتب ومن لحظةٍ لأخرى أراقب المناظر من حولي.

كنت أستلقي على ظهري مُفترشاً العشب، حينما قرصات الجوع تبدأ بوخز أمعائي. تلك الساعات من أيام رمضان تتخذ الطبيعة خواص غير مألوفة. الروائح تصل الأنفاس شديدة. شذى الأزهار مُضاعفة. الأصوات: غناء العصافير، الحفيف، خريبر الوادي كانت تُسمع بوضوح وانسجام. الألوان المحيطة للهضاب، السماء والغيوم تبدو ساطعة.

مستلقياً على العشب، كنت أثبت نظري في زرقة السماء حيث الغيوم البيضاء تبدو راقصة. تتقاطع، تُغير شكلها، تنتج السنة فيما بينها تلتقي. كان الريح يلامس السحابات ليحدث تجسيمات مُتغيره. عندما كنت أثبت نظري في الغيوم، علماً بإدراكي أن ما يحدث هو لعبة بصر، تبتعد هذه في مجال رؤيتي وفجأة يظهر أمامي خيوط ثعبانية مُجدلة شفافةً حيناً، وأخرى فضية. خيوط تتموج، تتحرك من الأعلى للأسفل بمسار قوسي. كنت أثبت نظري في القمر وهو أبيض اللون نهراً: فجأةً كان يبدأ الوقوع ببطء حتى يختفي من مجالي البصري. لكن عند إغلاق جفوني كان يرجع إلى مكانه الأول ومن جديد يتحرك نحو الأسفل. مرةً لليمين وأخرى إلى اليسار.

كان القمر يرقص في مجال نظري خلال أيام رمضان. في تلك اللحظات كنت أشاهد عالماً متحركاً مفقود في الأيام العادية. أقضي الساعات مُداعباً رؤاي مُرافقا بكتب قيمة.

أعدت التوجه للبيت قبل الغروب بقليل، لأجد والدي كان قد رجع من العمل، ويقوم بتحضير الفطور: وجبة غنية متعددة أنواع الطعام، وهو جالساً خلف الطبلية: طاولة ترتفع تقريباً ثلاثين سم عن الأرض كنا نستعملها فقط خلال رمضان.

عند وصولي للبيت، كان أبي بعد تأكده من استمرارتي بالصيام، يدعوني للجلوس بجانبه. ومن خلف الطبلية يبدأ بأوامره لإخوتي كالقائد: أنت سطح البندوره وبعدها

البصل. أنت حضّر الطحينة وأخلطها جيداً مع الليمون. سخّن الخبز. ساعد أمك في تجهيز الدجاجة. أسكب العدس في الصحون. أنت اذهب لشراء الفلفل. هذه السلطة غير جيدة أضف البقدونس. أجل قلي الزنكل, يجب أن يكون ساخناً عند تناوله. كان صالون البيت خلال رمضان يتحول إلى ورشة عمليات ومطبخ. يستمر أبي بهيجانه, يأمر إخوتي بصوت صارم وأنا جالس بجانبه بهدوء, حتى يجهز الفطور. أما أمي فكانت من الحين للآخر تتذمر وتتنبر بسبب صرامة والدي. وكلما كانت تُشدد من نبرها كان أبي يكتف أوامرهم ويزيد قسوة. كنت أفهم أن ذلك نوع من اللعبة المُتفق عليها بينهم فأضحك بداخلي.

عند تجهيز الفطور يجلس كل أفراد العائلة بهدوء حول الطبلية والاستماع للقرآن من خلال المذياع, الانتظار بصمت حتى يبدأ الأذان مُعلنًا الغروب ولحظة الفطور. حينها أبي وأنا , بعد أن نتضرع لله قبول صيامنا ولفظ التّية كنا ندعو أخوتي للبدء بتناول الطعام.

بعدها, كنا نقيم صلاة المغرب جمعاً في البيت, لتستمر السهرة, في الكثير من الأحيان باستضافة أصدقاء للعائلة.

كنت أحدثُ الحاضرين حول أحاسيسي ورؤاي في البساتين وكانوا يعزونها إلى كرم رمضان " رمضان كريم" . يكررون ويعتبرون أن في هذا الشهر المقدس تحتفل الطبيعة. "سبحان الله" و"الحمد لله". هكذا كانوا يعلقون على حديثي.

في الساعة التالية كنا نصلي العشاء ومن ثم بشكل طوعي, صلاة التراويح . وهذه الصلاة يمكن للمسلم أن يؤديها لوقت غير محدود، وفيها يُقال تظهر تجليات الروح. يُحدث الكثيرون بأن إقامة تلك الصلاة توهب الجسم خفةً حتى عدم الشعور به وتكسب المرء نوماً عميقاً.

قبل توجهي للنوم كنت أوصي أمي بإيقاظي للسحور.

يكون الصيام في شهر رمضان حسب التوقيت القمري. آخر أيام رمضان تقوم بعض المذاهب بالتوحيش وهو ترتيل يعبر عن الشوق لأيام رمضان وتوديعه ويتم هذا بالاحتفال بالعيد الصغير.

5. جحا والشعراء يستخفون العالم 18 أكتوبر 2001

أمس واليوم أحجمت عن الاهتمام بالحرب الجارية. لم تكن لدي رغبة في قراءة الصحف ولا الاستماع إلى الأخبار التلفزيونية. أستحوذ على حواسي شعور الاستسلام. التطورات اللولبية، الآراء غير المنتهية والمواقف السياسية المتناقضة تُنتج ضبابية وتؤدي إلى تراخم نفسي. كمية الأفكار المنفلتة تقود إلى عدم القدرة على التركيز وانخفاض القابلية على التحليل، ببساطة تؤدي إلى التعب.

وهكذا كنت قد فضّلت الاهتمام بمسائلي الروتينية حتى اتصلت بي الشاعرة كاميلا كوستا للإطلاع على مجرى يومياتي ودعوتي للمشاركة في لقاء شعري من أجل السلام.

يسعدني الحديث مع كاميلا ومع الشعراء بشكل عام. يُميز حديثنا نزعة المسؤولية عن العالم. يحس الشعراء بأنهم أولياء الكون. تراهم يرصدون ذبذباته ويلقون على تقلباته. يمتلكهم الخوف عند حدوث نكبة بهذه الحرب مثلاً. كثيراً ما تجدهم يتألمون عند حديثهم عنها وكأنهم موجودون في الخنادق. يُعبرون عن أفراحهم ويجهزون للمناسبات الإيجابية. تُسعدهم الاحتفالات واللقاءات.

يلتقون عادةً من أجل تقديم كتاب أو معرض فني، كذلك أيضاً للسبب البسيط للقاء والحديث حول إنجازاتهم. يظهر منهم تكراراً الحسد تجاه بعضهم ويغار كل منهم على إنتاجه الفني. يهدفون رضا الآخرين، الريحانية، غير أنهم لا يكرهون بعضهم البعض، لا بل أقول يُكنون الحب الباطني بينهم.

حدثت كاميلا عن مشاعري النفسية لهذا اليوم، أما هي فقد بانّت متحمسة لمشروع اللقاء الشعري من أجل السلام وخاصةً بعد أن التقينا الأسبوع الفائت عندي، حيث تحدثنا عن الحرب العالم والحضارات.

"إنه مضحك رؤية بوش بلباس صيني. قبل أشهر قليلة فقط كان يقدم تهديداته في قضية الطائرة المحتجزة من الصينيين. إنهم صغار القامة لكنهم كثيرون. يعملون بصمت وانتظام ولا يهمهم أي شيء. يتحتم على العرب التعامل في القريب العاجل مع العنصر الأصفر، مع نظام دكتاتوري، وليس مع أمريكا والتي في نهاية المطاف تعتبر بلداً متحرراً".

"حقاً! كل السياسيين يتكلمون هذه الأيام حول الإسلام. توني بلير لا تفوته فرصه للإشارة بأن الإسلام غير عنيف، ولا ينسى أن يلحق ب(عليه السلام)، كلما ذكر الرسول محمد(صلى الله عليه وسلم) كما يتوجب على أي مسلم أن يفعل".
"مستشار الخارجية لبوش، كريستوفوريس روس، يجيب لمحطة عربية بلغة فصحي. لقد ذكر صفة الحنيف عشر مرات. كان يبدو وكأنه مسلم متكامل".

"هكذا تتطلب الدبلوماسية. إنهم معنيون بإسكات المواطن العربي"
"كثير من التحولات تبدأ بمزحه, بلعبه. لكن خلال عملية - المزح - اللعب يتأثر
اللاوعي, يُكون انطباعه. يستقبل مقترحات اللعبة - المزحه - . يدّخر اللاوعي
تصورات اللعبة وهذه الأخيرة تصبح جزءاً عضوياً منه. لا بد لاحقاً أن تطفو هذه
الادخارات على السطح, تصبح واعية. من غير المُستغرب أن يتحول أحد اللاعبين-
الممثلين إلى الإسلام في المستقبل!".

"و بوتين؟ ما هو هدف لعبته؟ لقد حدّر في اليوم التالي ل 11 أيلول بصرامة أنه
يرفض حرباً على حدود دولته, والآن صار الصديق الضروري, لا بل قدم مطاراته
لعدوه التاريخي!".

"يرغب الروس رصد حركة الأمريكان على أرض كانت قد أدت إلى انهيار نظامهم
الايولوجي. فعلاً كانت هزيمتهم في أفغانستان المؤشر إلى انهيار نظامهم".
"سيكون بن لادن والطالبان فرحين عند سماعهم أنهم هم الذين سببوا انهيار
(إمبراطورية الشر), والآن هم مقتنعون باستطاعتهم هزيمة الشيطان الثاني, أمريكا"
" إنه ضرب من الجنون! لكن الرد على الجنون بنفس اللغة يعني الوقوع في اللعبة
التي تؤدي إلى الجنون".

" فعلاً بوش يلبس الملابس الصينية, يزور المسجد متحياً. بلير يهلل للرسول.
كريستوفوريس يتحدث العربية الفصحى. بوتين يصبح حليف العدو الذي أنشأ بن لادن
لهزيمته. حليف اليوم مهزوم من صديق الأمس, يصبح هذا الأخير عدو العالم بأكمله.
إن العالم يتحول!".

" الآن يقدفون على بن لادن كل الصفات السيئة. في البداية يساعدونه. يصفونه بكل
المحاسن لمحاربة السوفييت. بعدها لسبب أو لآخر يصبح كابوساً والكل يركض
لتدميره. إنه أمر غير قابل للتصور!".

" هكذا حدث مع جحا. تلك الشخصية الخرافية والتي تُشكل في الثقافة العربية صماماً
للتنفيس وشرح المعضلات. إنه مجنون البلد والذي لا تنقصه أحياناً ومضات الحكمة.
يقول العرب (خذ الحكمة من أفواه المجانين). كذلك سيجموند فرويد كان قد كتب
شيئاً في هذا القبيل: دون المجانين فإن العلوم لم يكن بمقدورها كشف أسرار الذهن.

أحد الصباحات, عندما كان مجنون البلده يسير في الطريق, تبعه بعض الأطفال منكلين
ومستخفين به. ضجر جحا وللتخلص منهم قال:(هل تعرفون أيها الأطفال أن هناك
سيداً كريماً قد وصل إلى السوق وهو يوزع الحلوى على المارين. أركضوا إليه قبل
أن يعود إلى بيته بعد قليل). سمع الأطفال قول جحا وصاروا يركضون نحو السوق.
رأهم جحا راكضين بنهم وحماس وقال في نفسه:(ربما حقاً قد يكون في السوق رجل
كريم يوزع الحلوى) وبدأ هو ذاته بالركض نحو السوق".

"في حرب أفغانستان غير واضح من هو جحا!"

"لدي انطباع بأن البشرية بحاجة إلى جحا!"

تسير الحرب, يتلاقى الشعراء. يتحدثون لأنهم يؤمنون أن في الشعر خلاصاً للبشرية.
يتألمون, يحتفلون, يتبارزون, لكنهم يُحبون بعضهم. يعتقدون بأنهم أولياء الكون.

6. أوريانا فالانتشي تُفضل الكنائس الجميلة على المساجد حيث يصلي الشيوعيون.
19 أكتوبر 2001

لم يكن دارجاً المشيخة في جيلي في ذلك الوقت. كنت الشيخ الوحيد في صفي. تكررأ شعرت بالانعزال وهذا يتأتى أيضاً من عدم اتفاقي مع الكثير من عادات زملائي والذين كانوا يطيعون الأساتذة بانصياع. أطاع معظم الطاقم الدراسي بدوره بشكل أعمى السياسة الإسرائيلية، لأنهم موظفو دولة ويعتاشوا من مالها. قرأت خلال ساعات العصر التي أقضيها في بساتين عين خالد أن إسرائيل كانت قد بُنيت على خراب قرانا ولم أستطع ملاحظة موظفيها. رفضت المشاركة في جوقة المدرسة، في فرقة المسرح وفي الكشاف لأن هذه كانت تحيي احتفالات عيد الدولة وكذلك لأنني كنت شيوعياً مثل والدي. وفعلاً كثيرون هم الشيوعيون الشيوخ في بلدنا ومنهم من كان يقيم الصلاة في نادي الحزب.

صار أبي شيوعياً في بداية الخمسينات لكنه حافظ على كونه مسلماً. أتفق مع الرفاق في النضال ضد الإجحاف وكان يقوم بالإضراب عن الطعام في السجون الإسرائيلية. أنتقد الرفاق لتعاطيهم الكحول وفكرة مركزية الحزب، لأنه حسب اعتقاده، الرجوع إلى اللجنة المركزية في أي قرار يكبح المبادرة الشخصية للأعضاء. لهذا فقد كان يقوم بمبادرات شخصية لا تتوافق مع فكرة المركزية حتى أنه أُضطر لسحب بطاقته محافظاً على لقب الشيوعي الحر.

كانت من مبادراته الشخصية المجابهة الجسدية مع أفراد الشرطة لبطشهم، لكنه أيضاً حرص أن يُعرفنا، نحن أولاده، على الكيبوتس، تلك المجتمعات التي يعيش أفرادها وفق قواعد اشتراكية حقيقية. أعتاد الوالد حثنا على التعلم من الجوانب الإيجابية للمجتمع الإسرائيلي.

لقد صار من الدارج المشيخة وتطبيق القواعد الإسلامية في مجتمعنا في المنتصف الثاني للعقد السابع وبالتدقيق بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران. تنحدر جذور الشعب الإيراني إلى العنصر الآري (أوروبي) ويعتز بحضارة يرجع تاريخها إلى ما قبل الإسلام، وقد أعتنق الشعب الفارسي الإسلام منتصف القرن السابع ب.م.

في النصف الثاني للقرن العشرين كانت إيران البلد الإسلامي الوحيد الذي تمتع بصدقه حميمة مع الولايات المتحدة. أعتبر متحضراً، معتدلاً، علمانياً وطبّق أسلوب أمريكي في حياته الاجتماعية.

ماذا يمكن أن يكون قد حدث لذلك الشعب حتى بلحظة ما، يقرر أن يلفظ مَلْكَه، مستعملاً الثورة المسلحة لطرده مع أصدقائه الأمريكيان؟ ماذا حدث مع الشعب الإيراني حتى يقرر أن يمحو أي شكل للوجود الأمريكي، واجداً في الشريعة الإسلامية، وليس في حضارته قبل الإسلامية، طريقاً لخلصه؟

هذا لا يفرحني لأنني لا أعتبر نفسي معادٍ لأمريكا بالفطرة، وليس فقط لأنه مسموحاً أن أ طرح هذه الأسئلة، بل لأنني أخشى اندثار قيم أمريكية إيجابية، أتوجه بالسؤال للمواطن الأمريكي وبكل صراحة: لماذا فضل الشعب الفارسي عقيدةً أكتسبها قبل

ثلاثة عشر قرناً على صداقتك وتحضرك، على تعليماتك، على شكل وجودك وتفكيرك ؟

" هذا أسوأ لهم !" ستجيب أوريانا فالانتشي. بالطبع! لكن الأمور سارت بهذا الشكل: لقد أستخدم الإيرانيون الجهاد من أجل التخلص من سوء حياتهم المترتبة عن صداقتهم مع أمريكا. نقطه وخلص! لا، لسه مش خلاص!
"اقرأ!" هي الآية الكريمة الأولى التي أوحاها جبرائيل لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم، يتوجب على المؤمن أن يتعرف على الثقافات، أن يسعى في الأرض. أن يُتقف نفسه. أن يعمل في المجتمع مدركاً أن عمله سيراه الله والرسول والمؤمنون، وليس العمل بحد ذاته من أجل العمل.

تعتمد فلسفة الإسلام بنشعبها على الفعل المُقنع وليس على رد الفعل، والذي بحد ذاته يشترط ويؤدي إلى التوافق مع أسلوب الخصم.
انتشر الإسلام في القرن السابع معتمداً على دراسته للمجتمعات، للشعوب والحضارات، وبفضل انفتاحه، قُدرته على استيعاب قبول ودمج الآفاق الحضارية غير العربية في الفلسفة الإسلامية، خالقاً بهذا مجتمعاً متعدد الجنسيات ومنسجماً. لم ينتشر عن طريق العنف وإلا كان قد لُفظ بعد أفول الحضارة العربية في الدول غير العربية.

في إيران، نحن بصدد شعب آري والذي من أجل طرد الأمريكان يتبنى ويلجأ إلى العقيدة الإسلامية، لكن بهذا يتقهقر إلى مرحلة نمو سابقة وبعيدة من مراحل تطوره. لقد تكاثرت الحركات الإسلامية الأصولية في العالم الإسلامي كرد فعل لسيئة الأحوال في تلك البلاد، للوجود الكولونيالي القامع ولانهيار الأيديولوجية الاشتراكية العالمية. لم يستطع وعي هذه الشعوب المضطهدة استيعاب الكم العلمي، الحضاري والسياسي للمجتمعات الغربية (رأسماليه واشتراكية) لأن تلك الشعوب كانت قد رضخت في عصر ظلام خاص بها تحت الحكومات العثمانية. بسبب هذا العجز كانت قد بنت حول نفسها سوراً واقياً للدفاع الذاتي من عالم مجهول. تتقهقر إلى الوراء لإيجاد ومعيشة لحظة تاريخية جديدة.

يعتقدون ويأملون أن يجدوا هذه اللحظات في الإسلام. يقلدون تصرفات وخطوات الخلفاء الراشدين، يقترحون أسلوب حياتي يتوافق مع ذلك العجز. في كل الأحوال يجدون في الإسلام حلاً، ملجأً.

لأن تلك الحضارة والتي استمرت عشرة قرون بفضل الإسلام عظيمه!
بيد أنه ذلك الذي أراه اليوم، ليس بإسلامي!؟

من أجل أن تُقنع الآخرين برأيك، وفق مفهومي للإسلام، يعني أنه يتعين على المسلم أن يفهم العلوم، درجة التطور، الرفاهية والمستوى الصحي للغير، للخصم. وهذا يتطلب ثقة بالذات، صبر من أجل تقبل وتحمل اختلاف وجهة نظر الآخر. يتطلب أن يُقدم للغير الحلول وأن يتفادى عملية التقهقر إلى الماضي السحيق.

إن الغرب ملئٌ بالمشاكل والأزمات, لكن ليس من أجل هذا على المسلم أن يفرح بشماتة, بالعكس, على المسلم الحقيقي المساهمة في إيجاد حلول لتلك الأزمات. ليس بإطلاق الذقون, ولا بلبس الجلابية أو الحجاب, لا , ولا الدشداشة يُعبر عن الإسلام. على الأقل, ذلك الذي يبيثونه في المرناه, ليس بإسلامي!

م.ق.

التقليد , رد الفعل .
أوراينا فالانتشي

7. إسلامي يُقنع إسماعيل

20 أكتوبر 2001

تلقيت هذا اليوم رسالة من البروفسور ماريو نورديو من قسم الدراسات الأسيو أوروبية في جامعة فينيتسيا (البندقية) .

الدكتور المحترم محاميد

أتشكر لإهدائي سريبتك " شظايا الروح". عوضاً عن انطباعي عنها بأنها هائلة, فإنها تثير التساؤلات. الأول يتعلق بالتأكيد بمشاعر العبثية النابعة من هول قسوة إفران التاريخ. ومن يكون ضحية لهذا لا يستطيع احتوائه. والثاني يتعلق بالشكل الذي من خلاله يتم التوحد الظاهري للعالم. المعاناة التي تعبر عنها وارتباطها بالوحدة, ثقيلة وخفيفة معاً, ترجع جذورها إلى هدفية ومرجعية المال ولا تخصك وحدك. الثالثة والأكثر أهمية تتعلق بظروفك الخاصة كمسلم وفلسطيني. تكمن المشكلة باعتقادي بصيرورة القدس, لكل من يحافظ على الأحاسيس الحضارية, مكاناً يُعبر عن تناقضات الزمن, ولهذا فإن أي أفق يكون صحيح, بدل أن تكون ملجأً أو مرفأً أمان.

كان اختياري لتطبيق شعائر الإسلام صعب وخاصةً السنة الأولى، وخلالها أتذكر تدهور تحصيلي المدرسي. كان معلمو المدرسة, ومعظمهم أذيان لإسرائيل, عوضاً عن هذا يزرعوا الشبوعيين. صارت قضاء ساعات العصر في البساتين ملجأً لي. كنت أقرأ خلالها عن شخصيات فذة, عن عظماء الفنانين في التاريخ ومنهم الأوروبيين. قرأت بإعجاب حول شخصيات تاريخية إيطالية تركت أثرها لدي: سيرة يوليوس قيصر, دانتي الليغيري, ميكائيل أنجلو, جوزيبي فيردي, ليوناردو دافينشي, جوزيبي غاريبالدي وغيرهم. كنت أستعير الكتب من مكتبة المدرسة وموظف المكتبة شجعني على عادتي هذه.

مع تقدم الوقت استطعت أن أخلق توازن نفسي لي, نظام حياة خاص بي, قناعات وذوق خاص.

عاودت أنجز وظائف المدرسية بالتمام. علاماتي الفصلية ونهاية السنة كانت عالية, وبعض الأحيان بفضل وحدتي, كنت أستطيع إيجاد حلول لمسائل مدرسية صعبة. أذكر مرة, أستاذ الزراعة سليم, بدأ بحصته بعد أن صلح الفحوص الذي أجراه لنا قبل ذلك اليوم, غَضِباً مع كل الصف. أخبرنا أن كامل الصف فشل باستثناء تلميذ واحد. تكلم بقسوة وشدهً مُنهيماً حديثه الذي أستمع عشر دقائق بتحذيرنا أنه في القريب العاجل سوف يُجري لنا امتحان فجائي.

كان إسماعيل من أوائل التلاميذ, شجاعاً والأكثر اعتباراً. تصور أنه هو الوحيد الذي عبّر الامتحان ولهذا بعد أن أنهى الأستاذ سليم تحذيراته سأل إسماعيل: "هل يمكن أن تذكر لنا من هو الوحيد الذي تخطى الفحص؟".
"نعم" أجاب الأستاذ "ليس أنت, إنه الشيخ" قال مؤشراً إلي.
وهذا ما قد أوهبني اعتباراً لدى زملائي .

8. إيوجينيو سكالفاري قلقٌ لموت الأم أوروبا لأن الوليدة أمريكا قطعت حبله السري
والذي سيعيد ربطه فيتوريو زوكوني لاحقاً.
21 أكتوبر 2001

يعيدني مقال إيوجينيو سكالفاري "ماذا تستطيع أن تفعل أوروبا لإمبراطورية الخير(أمريكا)" المنشور اليوم على صفحات ال"ريبوبليكا", بما كتبتة قبل شهر, قبل اندلاع الحرب ضد أفغانستان، والذي أذكر به أنه يمكن لأسلوب الحياة الأمريكي أن يصبح جزءاً من القوسيات الذهنية الجماعية في المستقبل.

أقدر نظرة المحلل سكالفاري وأقرأ دائماً ملاحظاته في المجال العالمي والمحلي. في مقاله يثير الاهتمام تركيزه على التحالف الجديد بين أمريكا, الصين وروسيا, إثر أحداث 11 أيلول. الأزمة الأمريكية تضطر حكامها أن يتحالفوا مع أعداء الأمس, الأمر الذي يقلق الكاتب ويتساءل: "هل نحن بصدد موت أوروبا؟". لا يترك الكاتب في مقاله القارئ بضبايه وتشاؤم, بل كما هي عادته, يؤشر إلى حلول, أيضاً إلى المسؤولين السياسيين. وفق رأيه, على أمريكا أن تصبح أكثر أوروبية كما قلدت أوروبا الطباع الأمريكية في النصف الثاني لآخر قرن. أعتقد أن هذا سوف يتحقق بفضل الجذور الثقافية والأنثروبولوجية للقارتين.

يطفو على تفكيري الآن قلق الكاتب جورجو بوكا لاحتمال عودة أوروبا إلى حالة القرون الوسطى. مناظر حربية وتدميرية كانت قد وصفت من الكاتب أومبيرتو إبيكو. فُرعت طبول الحرب الخيالية بين الغرب والإسلام مع ظهور مقالة الكاتبة العنيدة أوريانا فالانتشي, والتي لم أسمح لنفسني مرةً بتفويت عليّ أياً من مقالاتها. أقرأها باهتمام وباحترام.

مقالها " الغضب والكبرياء" والذي ظهر في صحيفة ال"كوريري ديلا سيرا" كان متزامناً مع التجهيز للحرب ضد أفغانستان. كشخص يعيش في إيطاليا, أستطاع اكتساب تعاليم وقيم أوروبية, والتي أمتن لها وأعتبرها جزءاً من تكويني, أشعر بضجر من هذه الحالة, لكنني أعتقد أن هذا الصراع المُتوقع لا يمكن أن يؤدي إلى ذاك حجم التدمير, الموت والانقراض الذي يشير إليه الكتاب آنف الذكر.

ينبع تصريحي هذا من مشاعر شخصية, ومن خلاله أتمكن بواسطة وسيلة دفاع غير واعية أن أروضَ ذاك القلق من التناقض بين كوني أوروبي ومسلم في آن واحد. أميل للقول أنه بسبب كوني مسلم, لأن الإسلام يدحض ويرفض فكرة موت المُغاير أو الذات لأي من الأسباب.

" من هو المسلم؟" سأل أحد المؤمنين رسول الله " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده " أجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. بكلمات أخرى هو الذي لا يتكلم بسوء عن الآخرين وخاصة خلف الظهر, لا يستعمل يده, أي القوة من أجل إقناع الآخرين حول مصداقية إدعاءاته.

عندما نلاحظ أن هناك شعوباً غير عربية كانت قد أسلمت, ودولاً كاملة صارت عربية بفضل الإسلام, يكفينا من أجل أن نفهم بأن الإسلام لم يتحقق بالعنف. وإلا كيف نفسّر أن هناك شعوباً كثيرة ما زالت مسلمة حتى بعد أربعة قرون من أفول الدولة العربية؟

من البديهي أن تكون هناك تناقضات, أمور غير مقبولة أو غير مفهومة في الشريعة, لكن ليس لهذه العوامل يجب أن تُفزع طبول الحرب, بالعكس عدم الفهم والتفاهم يدعو المسلم إلى ذلك المنحى الذي ترده الصحف تكراراً: الاجتهاد ومن نفس الجذر تشتق كلمة جهاد والتي تعني حرفياً النشاط المُضني لتحقيق إرادة الله, والذي يُعبر عنه بالاطالية بكلمة ديبو.

يقول الله في كتابه العزيز " إنا خلقناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا" وليس من أجل تغذية الخلافات.

تُسقط الأحداث الأخيرة الكثير من الأفتعة, تكشف وسائل وطرق تفكيرية, تخرج للسطح عناصر صراعية والتي تُجبرني أن أنفذ الاجتهاد, أي الكتابة, توضيح ذاتي, التنقيب عن ماضي الخاص, الاستعداد أمام الخصم الموهوم والمساهمة في إنجاز السلام له.

أركز بأن أحول المفهوم الذهني كقدرة حول كيفية استقبال, والإحساس بتصرفات الآخر علينا أن نُلقي الضوء, أن نتجادل, وحل الاختلافات وبالتالي رؤية جديدة لفتاعات, حينها نستطيع أن نشبع إحساسنا كبشر متحضرين وأن نخلق تعايشاً مسالماً.

في معادلة الغرب - الشرق, لا يمكن للغرب أن يهمل محصلته الريادية العلمية والاجتماعية, والتي أنجزها بعد صراعات دموية استمرت خلال آخر قرنين, أو أن يضيع في تلك المشاعر الابدائية, الموت وظلام القرون الوسطى. من جهة أخرى لا يمكن النظر لغير الغربيين, لنظام قيمهم باعتبارات عدائية أو استعلائية.

إن أسس الحضارة الغربية, خاصة محصلته العلمية والاجتماعية صارت جزءاً عضوياً من تركيبة المجتمع الشرقي, وهذا بفضل أصالة وصدق هذه المحصلة وبالذات لأن العقلية الشرقية لا تنظر إلى الغرب كقالب واحد عدواً للإسلام واعتبارها مرفوضة قطعياً.

تظهر للعيان مواقف وإرادة للنقد, للتغيير, وهذه الإرادة ترتبط بحادث عيني: بعد 11 أيلول, تفكر القيادة الأمريكية بإعادة نظرها في ماضيها وثقافتها. تعدُّ أن تعيد نظرها في سياستها الخارجية وخاصةً في الشرق الأوسط. تُفتح قنوات مع الصين وروسيا المُعتبرة حتى الأمس إمبراطوريات الشر. هناك إرادة وللأسف تبلورت كنتيجة لحادث عنيف للتمحيص في مقاييس الحضارات.

أؤمن بأن في معادلة الغرب - الشرق لن يُهزم الغرب, وهذا أيضاً بفضل قناعة إسلامية تُفيد بأنه" الاعتراف بالذنب فضيلة". منذ فترة يقوم الغرب بهذا. يبحث ويحاول التعرف على أخطائه تجاه مستعمراته ويحاول بشكل ما المصالحة مع تلك الدول. أن تدرك سبب الشر, المرض هو الوصول إلى منتصف الطريق نحو العلاج.

لماذا يتوجب على جورجو بوكا التساؤل والقلق لاعتقاده أن هناك إمكانية للرجوع للقرون الوسطى؟ علماً بأن في الطرف الآخر من العالم (الإسلام) كانت هناك حضارة مُزدهرة، وهي أطول حضارة في تاريخ البشرية. لماذا حتى بعد ألف سنة يعجز الكاتب عن الإحساس أنه في تلك الحضارة تعليمات ثقافية، وأنه يمكن بتواضع تعلمها والاستفادة منها. أتساءل إذا كان الكاتب مستعداً لنصيحة أجداده من التعلم من تلك الحضارة؟ أم لا؟ وهذا بالذات لأن الغرب كان ينظر للإسلام المتقدم بنظرة عدائية، رغم أن تلك الحضارة كانت تستطيع إخراج أوروبا من عصر الظلام!

م.ق.

1. يعتبر الكاتب أن الحضارة الغربية، محصلة الثورة التنويرية، امتداداً لبعض مقاييس الحضارة العربية. ترجم الأوروبيون في القرون الثالث والرابع عشر وبعدها، في جامعات الأندلس، وشمال أفريقيا علوم الفلسفة، الطب، الرياضيات، الهندسة والفلك، أي تلك العلوم البراغمتية والملموسة من الثقافة العربية، تبثوها، نشروها، طوروها وشكلت مفاتيح الثورة التنويرية في أوروبا. ومن الجدير بالذكر إجماعهم عن بث الشكل الروحي الديني لتلك الحضارة لاعتقادهم، وما زالوا، بتناقضها مع معتقداتهم الدينية - المسيحية.

وفق هذا، ولأنه كما يعتقد الكاتب "ما ينفع الناس يبقى في الأرض" من محصلات الحضارة الأوروبية الايجابية إنسانياً سيجد له قبولاً لدى المجتمعات المسلمة.

2. يستسخف الكاتب من تخوفات مفكري أوروبا بالرجوع إلى وضعية عصر الظلام في القارة الأوروبية مجرد ظهور حركات أصولية إسلامية ذلك أن ما زالت تحكم الذهنية الأوروبية معادلة ساذجة تفيد بترباط الإسلام مع عصر الظلام في أوروبا.

بدأ عصر الظلام في أوروبا بعد أفول الإمبراطورية الرومانية في القرن الخامس - السادس ب.م. في ذات الوقت بدأت بالنشوء والازدهار الحضارة العربية. لا تستطيع العقلية الأوروبية استيعاب أن لا علاقة بين ازدهار العرب وأسباب ظلام أوروبا، وإنما تزامن الحقيقتين تؤدي إلى تقرير المعادلة أنف الذكر. وهذا يفسر الحقد الدموي الأوروبي تجاه الشرق الذي تمثل بالكولونياليه وبعض إسقاطاته مستمرة في النشاط.

3. عدم تطوير والاهتمام بالجانب الروحي، لا بل قامت الثورة التنويرية بفصل الدين عن الدولة، سبب فراغاً حقيقياً في نسيج العلاقات وتبايناً مع أشكال وجودية لكثل بشرية على الأرض وبالتالي صراعات وحروب، تمثلت بسحق الآخر لمجرد اختلافه في شكل الوجود وتركيبات قناعاته، مثل ما حدث مع شعوب الإنديوس الأصلية في أمريكا والمسحوقة من قبل المهاجرين هناك.

4. يركز الكاتب أن التعايش السلمي يتحقق في الجدل حول المفهوم الذهني، وحول كيفية إحساس العوامل الخارجية. هنا يعني أنه يترتب على الأوروبي عزل أسباب تاريخ عصر الظلام في أوروبا عن الإسلام وعلى المسلم أن يرى في إنجازات الأوروبي الايجابية الكثيرة من علم، ديمقراطيته ومفاهيم اجتماعية امتداداً لتاريخه

وإراثاً إنسانياً يتوجب مناقشة استقباله وتطبيقه عازلاً إياه عن عدائية الأوروبي في القرن الفائت .

9. الشيخ الصغير يُسَمِّر أبو حمّاد المتقدم في السن
22 أكتوبر 2001

استلمت هذا الصباح رسالة من الشاعر ألبينو سبيساتو . وهو عضو في إدارة ديمينسيوني آر تي، وهذه جمعية فنية متراصة في بلدة روزا محافظة فيتشينسا، تحتفل السنة بميلادها العشرين.

لوريا 2001/10/16

العزير صلاح،

قرأت سربيتك شظايا الروح وشعرت بضرورة كتابتك هذا الانطباع البسيط. في تلك الصور الشعرية القوية توصل رسالة صريحة ومُعبّره. تناشد تكراراً العدل على هذه الأرض حيث بضعة آلاف من البشر يدوسون حقوق مليارات أشباه جنسهم. تكتب "خمسون قرناً خانتك"... شعوب, أديان, بحار, طواويس, أطفال ما زالوا يبحثون عن السلام. تشير في أشعارك للشعوب أن تسير في طرق تحاذيها أشجار الزيتون. أتمنى لك السلام في وقت هذه الحرب.

تعرفت في المسجد على كل المصلين الكبار. وكنت أصافحهم كل نهاية صلاة مرددين سوية "تقبل الله".

كان أبو حمّاد رائداً منتظماً للمسجد ومحافظةً على تطبيق الشرائع بحذافيرها. هادئ جداً ومتواضع, نشط الجسم ومُتيقظ. كان يقرأ طويلاً القرآن الكريم وكان وجهه يشع هالة زرقاء. حدّثوا عنه أنه خلال شهر رمضان كان قد زاره الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام. رفض أبو حمّاد رغم إصرار أبناء جيله للإفصاح عن سيمياء الرسول صلى الله عليه وسلم. أبى أن يكشف سره. وقد فهم المؤمنون المصريون أن رفض أبو حماد يتأتى من طلب الرسول (ص) أن لا يحدث التفاصيل.

صارت البساتين في عين خالد, خصوصاً المُرتفع الترابي, المكان المفضل لقضاء أوقات العصر في القراءة والتأمل. في البداية كنت أتضجر من الوحدة, لكن مع مرور الوقت صرت أبحث عنها وبعض زملائي بدعوا يحسدونني على هذا.

دُبّيق هو لقب أحد هؤلاء الأصدقاء وهكذا كنا نناديه لعادته بالالتصاق والإلاح بتنفيذ رغباته من الآخر.

قرر أحد الأيام أن يرافقتي للحقل. توجّهنا إلى عين خالد, لكن القراءة والتأمل لم تكن من مفضلات دُبّيق. لعبنا قليلاً وبعدها أقترح عليّ التوجه إلى أكل اللوز الطري من حقل أبو حمّاد القريب. في البداية عارضت الفكرة لاعتباري بعدم عدلها, ولأنني كنت أعرف أن أبو حمّاد لا بُدّ وأن يكون متواجداً في الحقل, وأنه سيستطيع إمساكنا ومعاقبتنا. لكن بعد إلحاح الصديق وافقت.

لقطنا أنا ودُبّيق القليل من حبات اللوز وأكلناها. أنهينا مغامرتنا وعند خروجنا من الحقل سمعنا من خلفنا هشيم وصوت اهتزاز أغصان. كان أبو حماد بخطواته السريعة يتبعنا. دعاني رفيقي للهرب لأنه كان يدرك أن الشيخ أبو حماد قاس مع اللصوص. هرب دُبّيق أما أنا فقد قررت إبطاء خطواتي. وصلني أبو حماد, مسكني من كتفي, وحينما كنت أدير وجهي إليه مقتنعاً بأن شيئاً لم يحدث, صفعني الرجل.

" لماذا تصفعني أيها الشيخ؟" صرخت.

" لماذا سرقتم اللوز أيها العفاريت؟ سأحدث هذا لأبيك ".

" حدث لمن تشاء! لكننا لم نسرق. لقد أكلنا من اللوز فقط ما يسد رمقنا, محترمين حديث الرسول صلى الله عليه وسلم. لماذا تقول بأننا سراقون؟ إتق الله يا شيخ. وليسامحك الله على فعلتك" قلت بحنك؛ أما أبو حماد كان يصغي إلي متسماً في مكانه.

مضيت في طريقي إلى المرتفع, مُنتجعي لقراءات العصر وهناك بعدها أقمت صلاة المغرب.

تعود أبي إقامة صلاة المغرب في المسجد. حينما قابلته بعدها في البيت أخبرني بأن أبو حمّاد كان قد حدّث بما حصل لكل المُصلين, وكان ما زال لذاك الحين عاكفاً على الصلاة, متضرعاً لله أن يسامحه للصفحة الموجه لي, وهو حريص أن يكون لديّ علماً بهذا.

10 روبرتو بينيني ينتصر على دافيد غروسمان 23 أكتوبر 2001

ليلة أمس أردت التعليق في يومياتي, على مقال دافيد غروسمان المنشور على صفحات ال"ريبوبليكا" الأحد الماضي. لكنني فضلت مشاهدة فيلم " الحياة جميلة" لروبيرتو بينيني, للمرة الثانية, والذي بثه ال راي- القناة الرسمية - في كل الأحوال, الكاتب الإسرائيلي, والذي يعجبني قراءة أفكاره, في مقاله - يومياته, يثبت أنه غير متفق مع قرار رئيس الوزراء الإسرائيلي أرئيل شارون على احتلال مناطق السلطة الفلسطينية. حتى هذه اللحظات تقوم الدبابات الإسرائيلية بنشر الدمار في المدن. يعبث الجنود فساداً في المدن, يقومون بالانتهاكات وعدد ضحايا الحرب بارترفاع. عرفات, رئيس السلطة الفلسطينية يتهم شارون باستغلاله انشغال الرأي العام السياسي العالمي بالحرب ضد أفغانستان لتقويض الكيان الفلسطيني الهش.

لقد شاهدت الفيلم مرةً ثانية، لأنني مُعجب بالممثل بينيني و خاصةً بهذا الفيلم. أستحق الممثل لذكائه جائزة الأوسكار. لقد أستطاع تخفيف هول مأساة حتى الآن تُلاحق أذهان اليهود، ضمائر الألمان وأوروبيين آخرين ولأكثر من خمسين سنة، ولن ينتهي قريباً، ونحن الفلسطينيون، ندفع ثمن هذا.

يعيد الفيلم إلى مذكرتي حادثة وقعت معي في حولون وهذه مدينه تقع جنوب تل أبيب. كان ذلك صيف 1985 حينما رجعت إلى بلادي لقضاء عطلة الصيف. لم أكن أتحمّل البقاء في البيت دون عمل شيئاً ما وهكذا توجهت إلى مستشفى فولفسون في حولون للعمل كممرض. بعد الحديث مع المسئولة عن استقبال المرضى الجدد، وفحصها لمستنداتي، عبّرت المسئولة عن تقديرها لي لحرصني على تطبيق ما أتعلمه في الجامعات الإيطالية وتجميع المال لتمويل دراستي.

وحددت أيضاً تاريخ يوم بداية عملي. كنت راضياً وخاصةً لأنني لم أشعر بذلك الجو العنصري تجاهنا كفلسطينيين كما يجري عادةً في ورشات العمل. عكس هذا فقد أثبت أكثر من ممرض استعداده للشرح لي حول مجرى العمل ومساعدتي للانسجام. وبقي لدي انطباع بأن المثقف الإسرائيلي يُقدّر ويثمن محبي العلم ولكن مع فكرة مسبقة، وفقها، أنه من النادر أن تجد عربياً يحب التعليم.

أحد عصور ذلك الصيف، كنت بشكل خاص فرحاً عندما عرفت أنني سأعمل تلك الليلة مع الممرضة يهوديت. وهذه ممرضه إشكينازيه، شعرها قاتم، زرقاء العينين وذات وجه بريء ومكتنز. نظراتها المتكررة تجاهي خلال أول لقاء، حينما كانت تعرّفني رئيسة القسم على طاقم الممرضين، كانت تدل على اهتمام تجاهي. وخلال حديث مدير القسم كانت تنظر إلي من حين لآخر مبتسمة. بعد نقاش المدير، بادرت يهوديت، بعد أن تبادلنا جُمل التقديم الشخصية، بإخباري أنها تتضامن مع العرب في إسرائيل، ترفض سياسة الحكومة تجاه الفلسطينيين وتقدرني عالياً لأنني أدرس الطب في إيطاليا ولم تنس أن تذكرني بأنها طليقة. أحاسيس يهوديت تجاهي كانت تشعرني بالأريحية، وبين طاقم العاملين في ذلك القسم أنتشر الهمس حول قصة حب بيننا.

كان ذلك يوم الجمعة مساءً ويُعتبر لدى اليهود المتزمتين عيداً لا يستطيعون خلاله العمل، أما يهوديت فهي علمانية وبالنسبة لي كان مُربحاً العمل تلك الفترات لأن الأجرة مُضاعفه.

" من يدري ماذا سوف تفعلون أنتم هذه الليلة! اعملوا ما شئتم لكني أريد أن يكون القسم كما يجب صباح غد" هكذا أوصتنا الممرضة والتي سلمتنا القسم قبل خروجها. اختلطت مزحتها ببعض الغيرة والتنهاني. ابتسمنا أنا ويهوديت وتمنينا لها نوم مريح.

بعد أن تأكدنا أن أمور القسم تسير على ما يرام، جلسنا للحديث. تصرّفت يهوديت معي باحترام عالٍ: أخبرتني لتطمئنني بأنها وحدها تستطيع إدارة القسم ولا حاجه لي للقلق. ثم جهّزت وجبتي طعام، لأنها كانت أكثر عملياً مني، وتناولناها. كانت تتعامل

وكانها تقوم بواجبات مُضيف لضيف عزيز. أما أنا في المقابل فقد جهزت القهوة العربية ودعوته للاحتساء.

"هل صحيح أنك تنحدر من عائلة أرستقراطية كما يُحدثون؟" سألت يهوديت.
"يعمل أبي بشكل منقطع لكننا نتدبر أمورنا بشكل جيد. نتساعد فيما بيننا. وأنت: ماذا يعمل والدك؟"

"أبي مُدرس وأمي تعمل موظفه في البنك. بالكاد يستطيعون مساعدتي لتمويل دراستي. كيف تتدبر أنت أمرك مع كل ما تكلف الحياة في إيطاليا؟" سألت يهوديت.
"تكفي الثقة بالنفس والإرادة الجيدة. وأنا أيضاً أطلب القليل من أهلي. بعض الأحيان أحصل على منحة جامعية وأخرى على منحة مالية من جمعيات خيرية. في كل الأحوال أتدبر أموري في إيطاليا" أجبت.

"كول هاكافود، كل الاحترام" عبرت عن نفسها يهوديت وسألتني "حدثني عن إيطاليا. هل لك هناك خطيبه؟"

حدثت يهوديت بلغة عبرية هشة وبجمل مخلوطة من الحين والآخر بمصطلحات إيطالية عن البلد الجميل. كيف يقضي الشباب هناك أوقاتهم، حول العلاقات الاجتماعية، حول الحياة الجامعية. كان يبدو عليها وكأنها مسحورة حينما كنت أتحدث بلغة هادئة، تقريرية وواثقة، مع أني كنت أبحث عن الكلمات الصحيحة بالعبرية. كانت يهوديت تصغي باهتمام ومن الحين للآخر كانت تعلق باندهاش: "كول هاكافود". كانت تثيرني للاستمرار في الحديث. وكنت أقص عليها حوادث واحاديثاً تثير المخيلة، حول الفن في إيطاليا، حول الأسلوب الفكري المريح للطلّيان، حول نمط الحياة الهادئ وغير الشائط بالنسبة كما هو في إسرائيل. كانت تصغي وعيناها الزرقاوين تبدوان حاملة، فاستمررت على ذلك المنوال. بدا منها الحماس والشغف، لكني أراهن أن مشاعرهما هذه لم تترتب بسبب نظام الحياة في إيطاليا، بل للجانب الرومانسي الذي عرضته عن إيطاليا ولأسلوب حديثي. حدثت عن بساطة كرم وأنوثة الفتاة الإيطالية.

توجب علي أن أحدثها عن كل ما يُبعد الفكر عن الجهد، القلق والضغط النفسي. حدثتها عن الأحبة والحب في شوارع البندقية، على الشطآن. حول مغامرات الحب مع السواح في حدائق فلورنسا. حول النصب التذكارية والتماثيل الفنية، حول تاريخ روما العريق المُعبر عنه بالكولوسيو، حول بساطة الحديث مع الفنانين عند لقاءهم في الشوارع. عندما كنت أتحدث كنت أرى جمال إيطاليا في عيني يهوديت. بدت عليها حاملة مصغيةً لحديثي وهذا ما كان يحمّسني على الاستمرار. رغبت الاستماع حول عالم، نظام حياة يختلف عما اعتادت عليه في بلادها. "نهدار، عظيم" كانت تعلق من حين لآخر. كانت الليلة تتقدم و يهوديت صارحتني بأنها تشعر جيداً برفقتي ودعتني للذهاب للنوم عند تعبي ضامنةً لي أنها ستراقب مجرى القسم وحدّها. لكني فضلت استمرار الليلة برفقتها وسألتها إذا رغبت بالخروج سوياً اليوم المقبل.
"غداً بالضبط لا. إذا لم يكن بد فبعد غد. غداً يتوجب عليّ مشاهدة فيلم حول الهولوكاوست، المحرقه" أجابتنني.

" حول المحرقة؟ لماذا يتوجب عليك مشاهدته؟ أنه رهيب ! لا يقدم لك مشاعر جميلة ومن ثم إنها قضية قد عبرت. ليس سليماً التذكر تكراراً مأساةً مرّت! " قلت ليهوديت. فجأةً غيّرت يهوديت تعبيرها. قطبت حاجبيها, اشتدت رموش عيونها, صغرت عينيها وصارت تنظر إليّ بثبات وصمت. وبدى على عضلاتها الانقباض وجسمها التجمد. " لا , لا يمكن نسيان المحرقة. يا ويلنا نحن الشباب إن نسينا ماذا تحمّل أبؤنا وأجدادنا. وياً لدولتنا إذا أهملنا ماضيها. يجب علينا دائماً تذكر المحرقة!" أجابت يهوديت بأسلوب تقريرى وحاسم.

" لا أقصد النسيان بسبب الإهمال, لكني أؤمن أنه من أجل الوقاية الذهنية من المفضل إزاحة الحدث من الذاكرة. اعلمي أن العالم قد تغير. حكمت الفاسيه في إيطاليا مرةً والآن ليست موجودة. علينا التقدم للأمام دون حمل آلام جروح الماضي. ما ذنب إيطاليي اليوم حتى يتحملوا أخطاء آبائهم؟" شرحت ليهوديت والتي استمرت بالنظر إليّ بقسوة.

"حاضرنا هو ثمرة تلك الحوادث الرهيبة. نحن شباب اليوم علينا إدراك تضحيات آبائنا لضمان لنا هذه الدولة. إن نسينا المحرقة فلن ندرك أهمية حريتنا" أجابت يهوديت وبدا منها التشبث في الرأي.

" في الوقت الذي تستمرين اشتراط حريتك بذاك الحدث الرهيب يعني أنك لست بحره. اسمعي! لقد ذهبت السنة الماضية لمسرح الأرينا في فيرونا لمشاهدة أوبرا النابوكو. سأحدثك ماذا فعل مدير المسرح وهو يهودي: خلال منظر محاصرة جنود النابوكو للسجناء اليهود من أجل إبادتهم, قام بإطفاء الضوء رويداً رويداً وفي لحظة الظلام قام بتغيير جنود النابوكو بجنود هتلر. تحت الضوء الساطع كان نفس المساجين بألبستهم نفسها محاطين بجنود نازيين. إنني أسأل: خلال هذه الخمسة آلاف سنه التي مرّت بين النابوكو وهتلر لماذا لم يستطع مدير المسرح اليهودي في فيرونا أن يدعو السجناء للهرب؟ لماذا؟ لماذا بقوا هناك؟ علماً بأن في تلك اللحظات العتمة, كانوا يستطيعون, من ناحية تقنية, أن يقوموا به. لماذا لم يهرب السجناء, لماذا بقوا هناك؟ لماذا على الأقل لم يغيّروا ملابسهم؟ "

لم ترغب يهوديت الإجابة وبدأت بتعبئة السجلات. استمرت الليلة بصمت وقد نسيثُ رغبتى بالخروج معها اليوم التالي, لكن صباح اليوم التالي, أجابت على سؤال " كيف قضيتم سويةً الليلة" للممرضة التي سلمناها القسم , قالت يهوديت: "نهدار, عظيم".

11. ميكيلي سارفاتي - أيضاً - يفضل إحياء ذكرى المقلصة بدلاً من التمتع ب " الحياة جميلة"
24 أكتوبر 2001

ذهبت للنوم ليلة أمس مع صورة يهوديت وتعليقها نهدار يدغدان ذهني. تشير هذا الصباح ال " ريبوبليكا" إلى نجاح فيلم "الحياة جميلة" لبينيني في مقال وقعه ميكيلي سيراً. باستقباله مغازي الفيلم ومتأثراً برشاقة الممثل الكوميدي التوسكاني, يعبر الصحفي, بعد أن شرح أبعاد الفيلم على المشاهدين, بحالته النفسية الجيدة: " اليوم التالي بدا لي أقل خنقاً".

يزيح الفيلم عن الوعي ثقل الأحداث الرهيبة والأيدولوجية التي تدمغ الإنسانية بالخزي. مع كل هذا, من أجل التقدم في الحياة, يتوجب كسر جمود الشعور بالذنب, تصليح الخطى ومنع تكرار الخطأ والبشاعة.

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم "المؤمن لا يُلدغ من جحرٍ مرتين" هذا الصباح فضلت أن أحافظ في ذهني على صورة يهوديت وتعليقها نهدار, لكن في نفس الصحيفة يظهر مقال آخر بتوقيع ميكيلي سارفاتي تحت عنوان " كيف يمكننا تذكر المقلصة". بعد قراءتي المقال صفة " رهيب" حلت محل عظمة كلمة نهدار ليهوديت.

يشير الكاتب إلى المواقع الجغرافية في أوروبا حيثما أستهلكت المقلصة, يُعد المبادرات القطرية والعالمية لإحياء ذكراها ومن ثم ينتقد محاولات بعض المؤسسات

لنسيان الحادث. هكذا يُلخص بحثه - أفكاره: " لا تشكل ذكرى المقصلة حدث عرضي أو طقسي. ليس للبيع, لا يتبع ولا يسبق الموضة, يستنكر دموع التماسيح, يرفض البروتوكول. يتأسس حول الشعور بالمسؤولية الشخصية لما حدث. تذكر المقصلة يُحتم بالضرورة المعرفة, احترام الصدق والنزاهة الأخلاقية. مع هذا يبقى فعل طوعي, من يرغب يستطيع أن يفعل شيئاً آخراً"

كنت أرغب أن أحافظ في ذهني على عظمة نهدار يهوديت, وليس لأنه مع هذا, بل لأنني فلسطيني. أشعرويعيدني هذا المقال الى ثقل المقصلة. رهيب!

سكنت في حولون, قبل مجيئي لإيطاليا للدراسة, في فترة دراستي للغة الإيطالية في تل أبيب.

كان أبي صاحب الفندق, حينما سكنت يهودي سابرا, أي من مواليد فلسطين والتي لاحقاً صارت إسرائيل .

يقع فندقه على الحدود التي تفصل البلدة القديمة يافا, والتي تقريباً قد أُبيدت, مع المدينة العصرية حولون. أبي وعائلته بكونهم سابرا, كانت لهم علاقات ممتازة مع السكان الأصليين العرب. ولهذا ورغم كل أساليب الملاحقة التي استعملتها ضده السلطات, كان يفضل تأجير غرف فندقه للعمال العرب بدلاً من تحويله إلى منتجع سياحي.

"هبيط, أنظر" كان يقول أبي " تعاشنا مع العرب بشكل رائع! هبيط, أريد أن أستم بصداقتي مع العرب, لكن المخابرات حولت حياتي إلى جحيم. هبيط سأساعدكم كما أستطيع لكن أرجوكم أن تُبعدوا من هنا تجار المخدرات. هبيط يجب أن لا نعطي الذريعة للسلطات لإغلاق الفندق وزجّي في السجن " هكذا كان يطالب أبي والذي كان يقوم بنضال عنيف للمحافظة على صداقته مع أبناء هويته القدامى, الفلسطينيين .

سكنت هناك, وعوضاً عن عملي في تل أبيب كنت أتابع دورة اللغة الإيطالية في الملحق الثقافي للسفارة الإيطالية في المدينة نفسها.

في إحدى الليالي, حوالي الساعة الثانية بعد منتصف الليل, سمعت طرقةً عنيفاً على الباب فاستيقظت.

"شرطه! افتح الباب!" دخل الغرفة أربعة أو خمس جنود مسلحين بالبنادق. " ماذا يحصل؟"

"هات هويتك! مخدرات, علينا أن نفتش الغرفة" أجاب دون اعتناء أحد الجنود. فحص هويتي ومن ثم وضعها في جيبه حيث تواجدت هناك بطاقات أخرى. حينما كان الجنود يفتشون أدراج الخزانة, يقلبون محتوياتها على الأرض, يبعثرون الملابس, الكتب والصحف, تقدم إليّ أحدهم, كان قد أنتبه لوجود كميات الكتب والصحف, والترتيب في غرفتي, سألني بصوت يبدو منه الاعتذار إذا كانت تلك الكتب تخصني وبماذا كنت أهتم . أجبت بنعم وأني أتعلم اللغة الإيطالية لدراسة الطب. لم يعلق بأي شيء.

بعد ذلك طلب مني رئيس الفرقة أن أنزل الى بوح الفندق للتدقيق بالهوية, بتلك الحالة دون السماح لي بتغيير ملابس النوم. نفذت الأمر. التقيت على درجات الفندق جنوداً آخرين يقومون بإنزال نزلنا للفندق للباحة. قادونا بعدها إلى الشارع العام, حيث كان

جنود آخرون يصرخون للمحافظة على استقامة طابور العمال الذين أنزلوا شبه عراه من غرفهم في تلك الساعة من الليل. بعد أن أفرغوا الفندق حملونا بشاحنتين متجهين إلى مركز الشرطة الذي كان يبعد من هناك بعض الكيلومترات.

في مدخل مركز الشرطة كان المدير العام يستمتع بأمرنا بصرامة، مرةً للركوع لبضعة دقائق وبعدها الوقوف لوقت آخر ومن جديد الركوع. كان المدير يزمجر بأوامره حينما كنا محاطين بالجنود المتسلحين بالبنادق. بعد ساعة تقريباً، بدأ موظف بمناداتنا واحداً بعد الآخر. أرجعوا لنا وثائقنا وأمرونا مُهددين بأن نرجع إلى الفندق مشياً على الأقدام. هناك منظر في فيلم بينيني يشابه ما حدث لي لكنه أكثر مأساوية.

مرزوق حلبي كاتب درزي وينشر مقالات في صحيفة فصل المقال النصاروية. مواطن إسرائيلي . سنة خلت قرأت له مقالاً وفيه يركز أنه يتعين علينا نحن الفلسطينيين أن نزيح تلك الصور الذهنية المربعة التي تلاحق عقل الإسرائيلي . يُشبهه الفلسطينيون بالطبيب القسري والذي يتوجب عليه معالجة تلك الأعراض والتي من حين لآخر يُنتجها ويتقدم بها الإسرائيلي للسكان الأصليين في الأرض المقدسة. من حين لآخر يتصرف الإسرائيلي كظالمة في القارة الشائخة. بهذه الطريقة يحاول الإسرائيلي أن يقذف محتويات ذاكرته المأساوية على ضحيته. يحاول التخلص والتحرر من مشاعر الرعب التي تلاحقه.

يرى الكاتب أن إسرائيل تحتاج إلى هزة نفسية قوية, يتوجب على العرب القيام بها حتى يتمكن الإسرائيلي من نسيان ماضيه العنيف, أن يدفن الإجحاف وأن يفتح ذهنه للحاضر.

في أوروبا, تواجد بينيني الذي أستطاع بفيلمه أن يخفف من وطأة مأساة تاريخية تؤلمنا جميعاً.

لكني أرى للرجوع إلى ميكيلي سارفاتي, أن ذكرى تلك الحوادث الكارثية خدمت قليلاً ذلك الجهد الثقافي حتى لا تتكرر بعض من مظاهرها, لأن الفحوى الروحية لإحياء الذكرى والتي يشير إليها الكاتب, لا يمكن أن تكون جزئية صالحة لشعب ما لكنها تستثني آخر.

تعكس العنصرية في كل الأحوال عقلية ضيقة, فقيرة وفاشلة, كما تُعلمنا إياه تجربة القارة الشائخة.

والآن حتى أتفادى ذلك الفخ النفسي في التشبث بذكرى مأساة تاريخية مُخيفة, أستعمل حقي في مطالبة الإنسانية, العالم المتحضر, المتقدم تكنولوجياً, أن يتدخل بجدية, شفافية وأمانه تجاه اليهود والفلسطينيين حتى تصل شعوبنا إلى حل صراع تمخض عن أيديولوجيات فاشلة في القرن الماضي في القارة الأوروبية ومع هذا يُحافظ على اشتعاله بين شعوبنا.

12 إرنيسو تريكاني يحمّد الشيخ وميكيلى سانتورو يدير مبارزة في العرين 25 أكتوبر 2001

سلمني ساعي البريد هذا الصباح ظرفاً كنت قد انتظرتّه بشغف. أياماً قليلة اتصلت بي السيدة المحترمة أدا زونينو، مديرة الجاليري التي تحمل اسمها، مخبرة إياي بأن الرسام إرنيسو تريكاني كان قد رسم لي لوحات إهداءً للسريبيه " شظايا الروح". استقبلت بسعادة هذا العطاء وخاصة التمنيات بالسلام التي عبّر عنها الرسام ببساطه. كتب الفنان على اللوحة كلمة سلام.

تعرفت على تريكاني عام 1994 خلال تقديمه لمعرضه في شرفة كورتينا عن طريق الصديقة الكاتبة ميلينا ميلاني. الفنان متقدم في السن، يتكلم قليلاً، يُلاحظ الأشياء المحيطة باستمرار. يترفع عن النقاشات والمواقف الهزيلة. الانطباع الأول الذي تعبر عنه لوحاته هو خطوطه الخفيفة، والعدد القليل من الألوان الهادئة التي تشكل رسومه. خطوطه متموجة ومنسجمة. تشعر بوجود لينفا تتدفق في اللوحة والتي تأخذ الذهن خارج الإطار. تثير الخيال، ولهذا فإن المشاهد يشعر بروحانيه وهدوء. يُزخم كل عنصر في تعبيراته الشعاعية، الخفقان والعظمة. سمعته يتكلم قليلاً خلال حفلة العشاء التي تكرم بها عمدة البلدة فرانثيسكو باولو، كلماته القليلة تستأصل خلاصة المواضيع المطروحة.

هذا المساء على القناة الثانية، كان ميكيلى سانتورو يدير لقاءً في برنامج " شوشا" بين شخصيات سياسية عديدة. شارك فيها طبيب فلسطيني وسياسي إسرائيلي. لقد شاهدت مقطعاً قصيراً من البرنامج. تناول الصحفي موضوع الاحتلال الإسرائيلي لبعض المدن الفلسطينية. لقد قام مقدم البرنامج، وهو شخص نزيه، توضيح وجهات

النظر حول القضية، مثيراً نقاشاً حياً حول نقاط عديدة، مانعاً المشاركين بالخروج والالتفاف على الموضوع وعارضاً بنجاح مضمون الصراع وإدعاءات الأطراف.

بعثت قبل أسبوع إلى نفسه سانتورو إثنين من منشوراتي، " طفل السلام" و"شظايا الروح"، لأنني كنت قد وددت أن أدلي بدلوي، إذا أمكن في برنامجه. غير أن بعد أن شاهدت مقطعاً من البرنامج أستحوذ عليّ شعور بالندم لخطوتي. بعد أن استمعت إلى النقاش الحيوي للطبيب الفلسطيني متهماً العنف الإسرائيلي، وبعد سماعي ممثل الأخير والذي قذف الكرة في ساحة خصمه، اعتراني شعور بالضجر والقرف وتذكرت مقابلة تلفزيونية أجرتها معي الصحفية جيني تيسارو في بيتي قبل أحداث ال 11 أيلول.

في تلك المقابلة لاحظت استمرارية الغريزة الكولوساليه التي تصبغ الموقف الأمريكي تجاه الصراع في الشرق الأوسط. "على أمريكا أن تتفرج وأن لا تتدخل" هكذا لخص كولين باول سياسة رئيسه بوش، مشيراً لاختلافها مع الرئيس السابق كلينتون.

إن الشعب الفلسطيني منذ خمسة قرون لا يعرف معنى الحرية. رضخ لأربعة عصور للحكم التركي، والذي تلاه الإنجليزي بعد الحرب الكبرى، ليست العالمية الأولى، وبعد الثانية تحولت معظم فلسطين إلى إسرائيل، والجزء القليل الباقي كانت قد اقتسمته فيما بينها الحكومات العربية المجاورة.

تسعى أمريكا كقوة عظمى إلى قيادة العالم وشعوبه، ولذلك لا تستطيع أن تهمل هذه المعطيات، وتكتفي بالتفرج على صراع دموي دون التشكيك بنزاهتها، لا بل اتهامها بالتأجيج والتمتع بمبارزة دموية بين شعوب المنطقة.

هذا المساء قررت أن لا أتابع برنامج سانتورو، وفضلت التمتع بلوحات تريكاني المبعوثة إليّ من قبل السيدة أدا زونينو. لحظة ما شعرت بخير ما يتدفق في أحشائي، وبسمة جميلة تستحوذني. أحسست برشاقة. أختزقت البسمة روجي وصار قلبي مطمئن الخفقان.

والآن أفضل أن أستمر بعيش هذه اللحظات، ذلك أن صباح غد سيكون يوماً آخر، ولاحقاً سأحدثكم مرةً أخرى عن تريكاني وعن رسامه شابه روسية أهدتني لوحة تشابهه إلى حد بعيد رسماً أهداني إياه تريكاني.

م.ق.

كولوسيو
الحرب الكبرى

13. وأخيراً، يجاهر إسماعيل بالإسلام 16 أكتوبر 2001

كنت قد أعدت قضاء وقتي وحيداً في بساتين عين خالد. يقال أن تلك العين مُسماه على اسم المجاهد خالد بن الوليد، والذي أكناه الرسول صلى الله عليه وسلم ب" سيف الله المسلول" لشجاعته في المعارك ضد أعداء الإسلام. يبدو أنه قد مرّ من هناك حيث بنى له معسكراً ومنذها هكذا تسمى البساتين الواقعة في حوض الجبال التي تتمركز عليها بلدتنا.

تحيط بلدتنا عدة معالم حضارية تحمل أسماء أعلام مشهورين: عين إبراهيم، عين النبي، معاوية وهذه ضاحية يقال أن الخليفة المشهور بحنكته السياسية معاوية بن أبي سفيان كان قد أقام بها مستشفى لجنود الإسلام. اللجون، وهذه هضبة أقام عليها الرومان مركزاً لهم. جبل سيدي الاسكندر، وهناك يقال أنه يقع مقام اسكندر المقدوني ويُعتبر لسكان بلدنا مكاناً مقدساً، وهو محروس من قبل الشيخ خليل، ذلك المتدين الشهير الذي كان يقرع الطبلّة خلال ليالي شهر رمضان. يؤم أهالي البلدة المقام مرةً في السنة وهناك يُصلّون.

كان مركزي في بساتين عين خالد يعلو السهل الطويل المحاذي للوادي وينتهي على أقدام هضاب عين الزيتون. هناك قرأت الكثير من المؤلفات التاريخية لجورجي زيدان. وهذا كاتب لبناني مسيحي عُرف عنه انبهاره بحضارة الإسلام حتى أنه قام في القرن الماضي، خوفاً من ضياعها على أيدي الكولونيين، بتدوينها قاصداً عن أعظم شخصياتها.

قبل فترة زمنية اضطررت الدفاع عن هذا الكاتب أمام أجد المسلمين المتزمتين، وهو من أولئك المجروفين من ثورة الخميني. حسب رأيه، فإن الكاتب المسيحي يُزيف في كتاباته حقائق الإسلام. فوضحت له أنه عليه شكر الكاتب المسيحي لأنه تصرف كحارس أمين لثروة ثقافية تهددها الزوال.

في المدرسة بدأت صفاتي كمسلم مقتنع تفرض نفسها على الطلاب والمُدرسين. في أحد الأيام أراد الأستاذ رشدي, وكان نائب المدير ويُدرس التاريخ, أن يُقنع طلاب الصف بالاشتراك بمجلة لأولادنا الرسمية. بعد أن تكلم لأكثر من عشر دقائق بشغف حول أهمية القراءة, بدأ يجمع أسماء الطلاب ماراً بين المقاعد. كان الأستاذ مُهيب حتى أنه لم يتجرأ أي طالب يرفض تسجيل اسمه للاشتراك. جمع الأستاذ أسماء أكثر من نصف التلاميذ, وصل إلى مقعدي وبعد أن لفظ زميلي في المقعد اسمه, سألني عن اسمي.

" أنا لا أريد الاشتراك بهذه المجلة!"

"لماذا؟"

"لأن لأولادنا مجلة رسمية ولا تهتم بقضايانا ولا يعينني قراءتها"

" من يكون أبوك؟"

" فلان بن علان"

"فهت! أنت مُعافى. ليس إجبارياً الاشتراك في المجلة"

بعدها, أستعمل بعض التلاميذ حقهم في رفض الاشتراك ومنهم أذكر إسماعيل, ويكون ابن مدير مدرسة, وكان الأكثر مُدلاً من قبل المُدرسين. كان إسماعيل يبغض كوني شيوعياً, لكن بعد حادث آخر مع نفس المُدرّس, صار يبحث عن صداقتي.

دخل الأستاذ رشدي الصف هائجاً كقائدٍ خيب أماله جنوده لنتائج الفحص الذي أُجري للصف في اليوم السابق. أخبرنا أن القليل كان قد نجح في الفحص وعلينا الدراسة أكثر, وإلا سيكون الفشل والإجبار لإعادة السنة الدراسية. وزّع علينا الأوراق مع العلامة مسجلة أعلى الصفحة, وكنت قد حصلت على ستين مئوية.

بدأ الأستاذ لتسجيل العلامات على سِجّله, لُفّظ أسمائنا واحداً واحداً ومن طرف المُنادى توجب لفظ العلامة المُسجلة. تمنيت الحصول على علامة ثمانين ولهذا عندما لُفّظ الأستاذ اسمي, أجبت ثمانين, وانطلت عليه الكذبة غير المُبرمج لها.

بعدها بقليل شعرت بمغصٍ يصيب أحشائي للخطأ غير المقصود. انتهى الأستاذ من تسجيل العلامات, جمع أغراضه في حقيبته وقبل أن يخرج من الصف, وقفت وقلت "أستاذ, اسمح لي أن أطلب المعذرة. لقد حصلت على ستين بدل ثمانين كما قلت. كان سبب هذا عدم انتباهي"

" فلتبقي ثمانين علامتك جزاءً لصدقك" قال الأستاذ رشدي, نائب المدير.

من ذلك الحين صار إسماعيل صديقاً لي. بدأ بإقامة الصلاة وبالإضافة لهذا كان يقيمها في جامع المحاميد وليس في الجامع القريب من بيتهم الواقع في حارة الجبارين.

14. الشاعر نيكولا ليتشارديلو يحكم العالم بالأشعار 27 أكتوبر 2001

هذا الصباح هاتفني الصديق الشاعر نيكولا ليتشارديلو ليدعوني للاشتراك بلقاء سيعقد في مدينة بادوفا.
" سيكون لقاء كالذي قمنا به قبل عشر سنوات خلال حرب الخليج. سنلتقي في الساحة العامة ثم نقوم بمسيرة تظاهرية نحو بناية الغران غوارديا حيث سنلقي الأشعار من أجل السلام" قال لي .
تعرفت على نيكولا خلال الحرب ضد العراق (الأولى) في بناية البريد في تلك المدينة. كنت هناك لبعث رسالة حيث تواجد أيضا هو وكان ينتظر مثلي في الدور الطويل ضجراً من الانتظار, كان يتدمر مكلماً نفسه. نيكولا ذو وجه برئ وحينما التقت عيوننا شعرنا بتلاطف متبادل ورغبة في التعارف.

كان مُعلقاً على زجاج المكتب إعلاناً يفيد بأن خدمة البريد متوقفة تجاه كل البلاد في الشرق الأوسط, المذكورة في القائمة أدناه, والتي تعنيها الحرب.
" أحمد الله " قلت لنفسي بصوت عال, موجهاً نظري إلى نيكولا وأكملت "بلادي ليست مذكورة في تلك القائمة وأستطيع أن أبعث رسالتي".
ظهر من نيكولا الإصغاء والاهتمام بما أقول وبصوت مشحون بالاهتمام سألني: " إلى أين تبعثها؟".
" إلى إسرائيل".

بدا من نيكولا حبه بالاستطلاع وقال لي بحماس: "اسمع! إنني منهمك هذه الفترة بما يحدث في الشرق الأوسط. أنا شاعر وقد حضرت كراسة أشعار تحوي قصائد شعراء من منطقتكم. أنجز مشروعاً للسلام. لقد ضمنت في كراستي أشعاراً إسرائيلية أيضاً".
ناولني نيكولا كراسة حيث فعلاً كانت تظهر كلمة سلام بلغات عالمية عديدة, أيضاً بالعبرية "شالوم", ومن ثم سألني بصوت حذر.
" يمكن أنك تعرف شاعر عربي فلسطيني هنا لإلحاق اسمه في الكراسة؟"

نظرت إلى نيكولا: قصير القامة، فضي الشعر، تنضح عنه الصراحة وشجاعة ذلك الذي يؤمن بما يفعل. أحبته:
"أنا هو الشخص الذي تبحث عنه".

"كيف؟ قلت أنك إسرائيلي. كيف يمكن أن تكون فلسطيني؟"
"أنا عربي فلسطيني إسرائيلي. أحد أبناء أولئك الفلسطينيين الذين لم ينزحوا عن أرضهم خلال حرب الثماني والأربعين. نهاية الخمسينيات أعطتنا إسرائيل الجنسية. أين الغرابة؟ نحن أولئك الذين يُسمون بعرب إسرائيل" قلت ونيكولا سمعني متعجباً.
"على هذه الأرض يوجد أيضاً فلسطينيون- أسرائليون؟ غريب هذا الامر! أعرف أن هناك فلسطينيين أردنيين، مصريين، لبنانيين، سوريين، أميركيين. من كل مكان، حصر هذه الهوية الجديدة والمثيرة لاهتمامي " صرّح نيكولا، وظهر عليه فرح طفولي بريء، ذلك لأنه وجد الشاعر الذي ينقص كراسه، وقال:
" أنني فرح جداً. سيشارك في لقائنا شعراء من كل الجنسيات. يبدو مستحيلاً أن تجمع على نفس الطاولة دبلوماسي إسرائيلي وفلسطيني. نحن الشعراء ننجح في هذا. مؤتمر سلام عالمي برئاسة الشعراء سيضمن الرخاء الإنساني الخالد".

15. فرانكو بيرنابيه يلبس الجلباية ويُصالح بين الشيخ وكلمة تشينيزمو

28 أكتوبر 2001

اليوم, على صفحات يومية كورييري ديلاسيرا لفت انتباهي عنوان على الصفحة الأولى, يتعلق بأجوبة رئيس الأيني, فرانكو بيرنابيه في مقابلة أجرتها معه ماريا لاتيلا حول العالم الإسلامي " العالم الإسلامي ضحية التشينيزمو الغربي" يقول العنوان. المصطلح تشينيزمو يندرج في قائمة المفردات والتي قطعياً يرفض ذهني استقبالها. كما يحدث للكثيرين, يحدث أيضاً معي, أرفض إدراج كلمات في قاموسي, لا أستطيع استيعابها وأكرهها. يُفرحني في المقابل تكرار لفظ بعض الكلمات, وهذا يثير لدي أحياناً إحساساً بالرشاقة, مثل عند نطقي لكلمة كورياندولو. صديقتي الرسامة السلافية يادرانكا تتمتع عند سماع كلمة ماغاري. لا تستعملها بالمرّة, لكنها تدعي أنها كلمة فكاهية وتسترسل بالضحك عند سماعها. أما صديقي المحامي نجيب فيسره لفظ كلمة فاجانو. صديقتي كارلا, غير هذا, فإنها تهيج تقريباً عند سماع كلمة بيوتي كيج.

تأبطت الصحيفة مُسوّفاً قراءة المقال بعد إتمام الطقس الذي أُوديه صباح كل أحد. الساونا والسباحة في المركز الرياضي في مركز المدينة, ثم التوجه إلى مجزرة عدنان والتي تبيع لحم حلال, أي مقبولة حسب الشريعة, ومسموح أكلها لأنه يتم ذبح البهيمة وفق القانون الإسلامي. يتوجب على اللحام استعمال سكيناً حاداً وإذا أراد شحذه قبل عملية الذبح, فعليه تجنب مشاهدة الحيوان لهذا, ومن ثم البسملّة, وقطع شرايين وأوردة العنق بسحبة واحدة. إفراغ الذبيحة من الدم, لأن الدم حسب الشريعة الإسلامية مصدر أمراض ومن الحرام أكله. يُحرّم الإسلام عوضاً عن الدم, أكل لحم الخنزير, والميتة وشرب الكحول.

عدنان الجزار مسلم يقوم بواجباته الدينية على التمام, حتى أنه بمؤازرة أصدقائه من أبناء دينه أفتتح جامعاً (موسكيا, بالإيطالية) يعمل في مجزرتة مع زوجته والتي تلبس حجاباً تغطي به شعرها. أتجادل مع عدنان وبعض من يراود الدكان حول أمور الإسلام, حول وجودنا في إيطاليا. معظمهم يبارك نشاطي الثقافي باسم الإسلام في إيطاليا.

أشهر خلت طلب مني عدنان التبرع مادياً لشراء مبنى للجامع. هكذا أجبتة " لقد تبرعت مرات عديدة في الصندوق المودع في مدخل الجامع. لا يهمني أن أظهر كرمي علانيةً لبيت الله. إنها فكرة إيجابية إقامة مركز لتجميع المسلمين في المدينة، لكنني أحبذ أن يساعد المسلمون فيما بعضهم، أن يحترموا بعضهم وأن يقدموا للمجتمع المضيف عناصرنا الثقافية، كما يأمر به الإسلام الأصلي. كنت قد أسست جمعية، جمعية ثقافية، تنشر كتباً حول ثقافتنا. يراوح عدد المسلمون في هذه المدينة الثلاثمائة مسلم، لكنني لم أجد واحداً حتى الآن يساند جمعيتي الثقافية" أخرجت من حقبتي كتاباً ناولته لعدنان وأردفت " هذا ديوان حجارة من القدس يتحدث عن ثقافتنا. الكاتبة ميلينا ميلاني، في مقدمته، تشير إلى أنه كتاب ديني، ويظهر من أشعاري إسلامي، وفيه نداء المآذن للصلاة، وتدعو القارئ الإيطالي لتقبل ثقافتنا. أود أن أقابل واحداً من المسلمين هنا يحرص على نشر الثقافة، وهذه إحدى الأسس الرئيسية للإسلام. هيا نقوم بشيء ما يا عدنان. اقترح على المجلس الإداري توزيع الكتاب لأبناء الجالية الإسلامية في المدينة وأتبرع بنصف الربيع للجامع، وهكذا كنتم قد نشرتم الثقافة ودعمتم جمعيتي. ماذا تقول!"

رد عدنان على طلبي بعد أسبوع بأن اقتراحي غير قابل للتنفيذ، ورغم أن الديوان معروض منذ فترة ليست قليلة في دكانه فإنه لم يستطع إثارة الاهتمام حول الثقافة بين أبناء الجالية الإسلامية، فقلت: " لقد تصوّرت هذا. تنحدر كلمة جامع من المصدر جمع، لتجميع المؤمنين للصلاة وللحديث حول أمور الشريعة والحياة. من نفس المصدر تأتي كلمة جامعة، حيث يجتمع الدارسون للبحث العلمي مثل جامعة الأزهر، ومنها تنحدر أيضاً كلمة جمعية. يتوجب علينا نحن المسلمون في هذا البلد، إظهار القيم الجيدة من ثقافتنا. شكّل الجامع أصلاً عوضاً عن كونه مركزاً للصلاة والتضرع، مركزاً للنقاش، الشورى والعلم. يتوجب علينا أن نفتح عيوننا على الجوانب الإيجابية للمجتمع الإيطالي، أن نقترح عليهم إيجابياتنا ونظهر تلك المشتركة بيننا وليس التوقع على أنفسنا".

أما امرأة عدنان فهي من عاداتها الإصغاء للنقاش، الاشتراك أحياناً مُظهرةً الجوانب الإنسانية الجميلة للإسلام ولا تُخفي فرحها عندما أنتقد بأسلوب مازح ولاذع بعض مظاهر أفراد المسلمين، وعكس هذا فإنها تتفق مع رؤيتي، تدعم فكرتي بأحاديث إسلامية. واستمررت " راودت المسجد للصلاة مرات عديدة. كان الإمام يلبس ملابساً تشير أنه يعيش في الصحراء. لحيته طويلة شعثناء تجعل الاستنتاج بأنه لا يعرف ما هو المشط، المقص أو شفرة الحلاقة. أقام الصلاة وألقى خطبة خلاصتها لا تتعلق بتاتاً بمواضيعنا الحياتية الحيوية. تتركز خطبه عن الدرجات في الجنة وماذا يتوجب على المسلم القيام به من أجل التوبء بأعلاها: تطبيق الأركان الخمسة: الشهادة، الصلاة، الصيام، الزكاة والحج. كان الإمام يحثنا على تطبيق الأركان الخمسة للفوز بالجنة، أما كيف نعيش هنا، كيف نقدم أنفسنا للمجتمع المضيف، لا! لاشيء! حضرته يريد أن يذهب إلى الجنة. وبعد كل خطبة من ذاك القبيل كان يحشو كرشه بالرز والفراخ. أهذا

هو الإسلام؟ يطالب الإسلام المؤمنين سرعة الخاطر، الذكاء، المعرفة، انفتاح الذهن.
"اقرأ" أول آية قرآنية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم".

يدعوني عدنان تكراراً إلى الصبر منبهاً إياي بأن معظم من يراودوا المساجد عمالاً، في الوقت ذاته تتبسم امرأته داعمةً وجهة نظري وداعيةً لله أن يتوج نشاطي بالنجاح. كنت قد طلبت الأحد الماضي من عدنان إعارتي كتاباً يشرح تفصيلاً مع الصور عن الصلاة، أوثق به يومياتي هذه. أعتذر اليوم لعدم مقدرته إيجاد الكتاب. فقلت مازحاً " اسمع يا عدنان! أحذرك بأنك هكذا ترتكب إثماً. لأن كتابي هذا يهم الكثير من الطليان الذين يريدون معرفة جوهر الصلاة. أمس أتصل بي صديق شاعر إيطالي وأخبرني بأنه يريد أن يتعلم الصلاة. من الممكن أن يصير الرجل مسلماً وهكذا سيرجع لي الكثير من الثواب. أما أنت بتكرار أذارك تساهم في إبقاء الطليان بعيدين وجاهلين للإسلام وهكذا يلحقك الإثم. يتوجب عليّ إخبارك بهذا، لأنه هكذا تتطلب مني الشريعة ومن ثم أخبرني لماذا لا تريد أن لا يصير مسلماً الشعب الإيطالي الحنيف" قلت مازحاً، ضحك كلاهما، وقالت المرأة " بالنسبة لك كل الشعوب حنيفة".

"طبعاً، لأن حنيف هي صفة النبي إبراهيم، صلاة الله عليه وسلم، هل تعرفون ماذا تعني، ما هو مصدرها؟ بالطبع لا، لأنكم لا تقرأون. أعتقد أن صفة حنيف ترتبط بكلمة حنفية. قبل مده، أكتشف عالم آثار فرنسي على جبل سيناء وجود أحواض مائية ترجع إلى عهد سيدنا إبراهيم الخليل صلاة الله عليه وسلم. وهذه كانت تُستعمل للتنظيف، التطهر والوضوء قبل قيام الصلاة. من هنا تأتي كلمة حنيف. ولهذا أستنتج أنني لا أستطيع الاستغناء عن المسبح والساونا، على الأقل ثلاث مرات أسبوعياً، لأن من يكلمك ينحدر مباشرة من عائلة الآباء ذلك أن أصل أجدادي من الخليل. يظهر أن هذه العادة: التطهر، مطبوعة في كروموزوماتي، في جيناتي * . هل تعرفون ماذا تعني الجينات؟ طبعاً لا، لأنكم لا تقرأون، لا تتحققون، وتأتون لي مدعين بأنكم مسلمين. تعتقدون أن إطلاق الذقون، اعتمار الحجاب يؤهلكم للإسلام. ملتحنين غير ملتحنين، بشوارب دون شوارب، ملتحنين دون شوارب، مع ذقن دون ذقن، بعمامة أو بدونها، بجلابية أو بغيرها. أقول لكم، إذا بقيتم هكذا فستأتيكم فالانتشى * تطاردكم بركلاتها. إسلامكم يوفر فقط إملاء الكروش يا عزيزي!"

بينما كانا يضحكان لتعليقي كان عدنان يتضرع إلى الله أن يكسبني علماً أكثر وامرأته تردد: "الله جميل ويحب الجمال".

توجهت بعدها إلى مقهى دانييلي لقراءة الجريدة. "العالم الإسلامي ضحية التشينيزمو الغربي" يقول العنوان. رغم تضجري وعدم هضمي لمصطلح تشينيزمو فقد قرأت المقابلة والتي خلالها يستعمل بيرنابيه الكلمة تكراراً بحيث يعدي الصحفية فتقوم هي الأخرى باستعمالها مرتين في سؤالين.

بيرنابيه أحد المسؤولين عن سياسة الانفتاح الاقتصادي تجاه العالم الإسلامي، وبفضل تجربته العريضة يُظهر ويشرح في مقاله جوهر بعض المظاهر الإسلامية، أهمية تطهير الجسم والأخلاق كصفات إسلامية.

وفق رأيه, لبس الجلابية ذلك الثوب الطويل والمتساوي في التفصيل, يرمز إلى تحقيق المساواة بين المسلمين وهذه صفة راقية.

يذكر أن بن لادن كان قد أوفى الزكاة وهذا يهبه مصداقية لدى أبناء ملته. تُرجمت كلمة الزكاة في المقال ب (ليموزينا) تَسْؤُل, وهذا حسب رأيي غير دقيق. تُشكل الزكاة أحد الأركان الخمسة في الإسلام, تأتي من مصدر زكّى أي طهر. يتوجب على المسلم الميسور أن يقدم كل سنة قسماً (لا يتجاوز اثنين ونصف من المائة) من ماله إلى بيت المال, وهذه كوزارة المالية في الثقافة الحالية. والزكاة هي نوع من التعاضد الاجتماعي والتي من خلالها يُظهر المسلم أمواله المكتسبة المُتسخة (لوردو). وبالتالي يقوم بيت المال، أو هو بنفسه بصرف الزكاة على المحتاجين – وذكر القرآن ثمانية أصناف لهم - أو لغير هذا.

يذكر بيرنابيه أن السياسيين المسلمين يستقبلون ضيوفهم الأعداء لتبجيلهم في الخيمة وليس في قصور فخمة, ذلك أن الخيمة بالنسبة للمسلم هي مأوى الروح. يشير إلى الدبلوماسيين الغربيين أن يتعاملوا بنزاهة مع العالم العربي وينتقد الغرب بشده للتعامل مع العرب بال " تشينيزمو": جهل متعمد, تغافل واستعلاء. مصطلح أعرف الآن معناه وفضلاً لبيرنابيه تصادقت معه وأصبح لي عائلياً.

جينات, كروموزومات
فالانتشي

16.المسيحي حنا أبو حنا يعتذر للشيخ ويقرؤون معاً الوصايا العشر 2001/10/29

مناظر الجريمة بحق الكاثوليكيين في الباكستان التي نُفذت أول أمس، وحيث تستمر وسائل الأعلام ببنها، رتبت لدي شعوراً بالغضب والحزن وذكرتني بأصدقائي الارثوذكس في حيفا.

كنت قد أنهيت دراستي الابتدائية بنجاح، ولقب الشيخ ومواصفات شخصيتي أشارتا باستمرار دراستي في الكلية الدينية (الإسلامية) المشهورة في (هيبرون، بالايطالية) الخليل. انتظر أبي طويلاً تلك اللحظة لتسجيلي في مدينة الآباء، والتي إليها كان مربوطاً عاطفياً، لأن أجدادنا ينتمون إلى تلك المدينة ولهذا فقد سمى أبني البكر خليل. تفاجأ الوالد عندما عرف بأنني أفضل الالتحاق بالكلية الارثوذكسية، في المدينة الواقعة على ساحل المتوسط، حيفا. كنت مقتنعاً بتعاليم الإسلام والتي تحت المسلم على المعرفة، إلى درجة قراري أن أدرس بعمق ثقافات الغير، خاصة تلك المغايرة عن قناعاتي، وبالذات المسيحية التي تختلف عما ترعرت عليه.

تصعب على أبي تفهم خيارتي، لكنه رضخ بعد أن دافعت عن اختياري، مستشهداً بأحاديث نبوية وآيات قرآنية، التي تدعو المسلم أن لا يخشى التعرف على ثقافة الآخرين " أطلب العلم ولو في الصين" هكذا يقول الأثر الخالد، والذي يشير إلى البعد الثقافي والجغرافي .

بكل الأحوال كان الفضل لأمي والتي أقنعت أبي بحرية اختياري، " لست عليهم بمسيطر" هكذا تقول الآية القرآنية، ردها أبي عند رضوخه لقراري. مع أن الوالد كان قد أنصاع لخيارتي فقد أخبرني بشكل رياضي، أنه يتوجب علي تحمّل مسؤولية دراستي ولن يكون سنداً اقتصادياً في هذا. وافقت، تابعت الكلية الارثوذكسية لأربع سنوات، في النصف الثاني للعقد السابع نحن الطلاب المسلمون في الكلية كنا قلائل ومعظمنا قادم من قرى نائية، لكننا لم نشعر بأي جوٍ عنصري تجاهنا.

في تلك الكلية ربيت صداقات حميمة وذكريات سترافقتني إلى الأبد. أيضاً في الكلية الارثوذكسية كان من يناديني ب" الشيخ" وخاصة المدير حنا أبو حنا، كان يناديني " شيخنا". يكون المدير الارثوذكسي – أيضاً- شاعراً فلسطينياً مشهوراً، وهو مبهور بالحضارة الإسلامية وخاصة الأموية، ولهذا فإن أبنائه يحملون أسماء حكام تلك الدولة.

يوماً ما، في بداية السنة الدراسية، حنا أبو حنا الذي كان يُدرّسنا الأدب الإغريقي، دبر لامتحان فجائي. وحينما كنا منشغلين بالإجابة على الورق، كان المدير يدور بين صفوف المقاعد. كان يتوقف جانب أحدها وينظر إلى ما يكتبه التلميذ. لم يكن يعرف أسماء كل الطلاب، ولا أسمى. عندما كنت منهما بالكتابة، كان قد توقف جانب مقعدي، نظر طويلاً لما أكتب. بعد أن انتهى وقت الامتحان وسلمنا له الأوراق، لفظ

اسمي بصوت حازم ودعائي للإجابة حول موضوع أدبي. بدأت الإجابة, لكنه بشكل فجائي قاطعني بقسوة متهما إياي بأنني لست أهلاً للإجابة, وأنه يعرف عن طريق معارف له جيرانني, أنني أذهب للنوم متأخراً, أدخن, وأصل للمدرسة صباحاً متأخراً. جمّدني ملاحظة المدير. عصر ذلك اليوم كنت قلقاً كذلك الليلة اللاحقة. صباح اليوم التالي وقبل الدخول للصف, توجهت لمكتب المدير, وبإصرار طلبت من موظفته لقاءً طارئاً معه.

استقبلني حنا أبو حنا, كنت غاضباً وبصوت متحدٍ, قلت:
" ليس منصفاً ما قلته عني أمام زملائي في الصف أمس. بادئ ذي بدء, لم تكن قد قرأت بعد جواباتي, ومن ثم لم تمكنني أن أجيبك. أعتزف بأنني أذهب للنوم متأخراً لكنني لم أتأخر عن توقيت الصباح ولو لمرة واحدة "
" كيف لا؟ أيام خلت, فحصت ملفك وهناك أشارات لوصولك متأخراً صباحاً للمدرسة". قال المدير.

" ليس صحيحاً" أجبت بلهجة مقتنعة.
في تلك اللحظة, طلب المدير من موظفته إحضار ملفي والذي يحوي معلومات حولي ولاحظ أنه كان قد أخطأ. أستفسر حول رسالة وقّعها بنفسه وموجهه لأب أحد الطلاب, وهذا يحمل أسمى.

" نعم , ذاك طالب آخر, يحمل نفس الاسم لكنه من صف آخر" أجابت الموظفة.
أستمر المدير بقراءة الملف. أبتسم بعد أن لاحظ علاماتني في الامتحانات .
" تكتب أيضاً الأشعار , علاماتك عالية"
رافقتني إلي صفي وبعد أن طلب إذن الدخول من المُدرّس للحصة الأولى, تكلم أمام أبناء صفي:

" أمس كنت قد أخطأت مع زميلكم. كان لدي عدم انتباه. ما قلته بحقه لا يستحقه. والآن أعرف أنه أيضاً شاعراً. أعتذر وسنكون أصدقاء ".
بعد تلك الحادثة, كنت دوماً أناقش مع المدير حول قضايا الشعر والديانات وتكراراً كان يسميني "شيخنا" .

في حيفا كنت ألتقي كل عصر مع جوني, يوسف, سامية, الكسندر ومها لإنجاز واجباتنا الدراسية أو للترفيه على الشاطئ الخلاب للمتوسط في تلك المدينة, والتي تسمى أيضاً عروس البحر. كان حنا أبو حنا من الأوائل الذين قدّموا لي النصائح في مذهب الشعر. كذلك الأستاذ محمد علي طه الذي كان يدرّس هناك وأطلعته على إنتاجي. أذكر أيضاً المربي فتحي فوراني الذي لم يكن يبخل بإرشاداته لإدراجي في عالم الفن.

مسيحيون, مسلمون, دروز, شركس, أحمديون ووهابيون كان يدرّسون ويتعلمون في الكلية الارثوذكسية.

طغيا على روعي امتعاض وغضب اليوم للجريمة المقرفة والتي استهلكت بسبب الجهل والتطرف. لا يسمح الإسلام في أي من جوانبه لعمل كهذا. ومع هذا فإن بعض العقليات التالفة تعبر عن وجودها المريض باسم الدين .

" لكن هذه الحرب ليست حرب دينية" هكذا يقول عنوان في الصفحة الأولى في صحيفة الريبوبليكا, موقعا من بيرنادو فاللي .

بدأت منذ شهور الاهتمام بكتابات فاللي بعد كتابته مقالاً في القدس، حيث يتكلم عن الصراع بين الاسرائيليين والفلسطينيين. يعبرُ فيه عن رأي شجاع. وفقه, إن ضحايا أوروبا (الأسرئيليون) خلقوا بعد عقود ضحية لهم (نحن الفلسطينيون). كذلك الكاتب ساندر و فيولا, يلاحظ تكراراً أن تصرف أوروبا بتشجيعها حيناً لطرف ما وآخر للخصم, فأنها تساهم في توليد الكراهية بين الطرفين.

اعتبرت ملاحظات فاللي كدعوه لاوروبا من أجل تحمّل مسؤوليتها الحقيقيه لفض هذا الصراع. في مقاله, يبين الكاتب علاقة الجريمة بالحرب القائمة, ويشرح بشكل مُفصل, وضعيات المسيحيين في الدول الإسلامية. يظهر قلقاً لمسير الحرب, لان "الجريمه باهاوابور" وفق رأيه, " يمكن أن توظف كميات من (الديمونيو, بالايطاليه) الشياطين السابته في العالم الإسلامي ".

أنفق مع قلقه.

يُعتبر الشيطان تمثيلاً ذهنياً وهو متواجد في كل الثقافات. وُصف في فترة ما قبل الدين وكذلك في المجتمعات العلمانية. يصف "هوس الاستحواذ" في اللغة الطبية أشخاصاً يتصرفون وكأنهم مسكونون بالجن. وهذا عرض يصيب منفصي الشخصية, المجانين. ديمونيو في اللغة العربية تعني أيضاً جن ومنها تنحدر كلمة مجنون. يشتق من الجن عبقر والنعت عبقرى: " جينيو" (بالايطاليه).

يوصف الجن في كل الثقافات بشكل متشابه فهو قصير القامة, مع قرون صغيرة على رأسه, قبيح وعفن. يهدف الهدم والتخريب.

حسب الاعتقاد الإسلامي خُلق الجن من النار قبل وجود الانسان. عندما خلق الله سبحانه وتعالى آدم, طلب من عباده السجود للمخلوق الجديد. أطاع الجميع سوى الجن والذي أستنكر الطلب لأن وفق رأيه, آدم خُلق من التراب, وهذا أوضع من النار. لعنه الرب, وتوعد الجن بأن يجلب الدمار لبني آدم.

تقاوم التعليمات الإسلامية محاولات الجن استدراج بني البشر لأهداف تدميرية. هناك أيضاً تعاليم في الديانات الأخرى والتي تحمي الإنسان من الجن. يكفي أن نفكر بالوصايا العشرة والتي تتوافق لدى كل الديانات, للإستخلاص بأن تلك الأعمدة تكفي لهزم الجن. تُروض التعليمات الدينية تلك الرغبة الغريزية للتدمير وتجعلها ثابتة. تواجد الجن في العقلية البشرية وفي كل الظروف وهو مخيف ومقلق للإنسان الاعتراف بوجود تلك الرغبة التخريبية الثابتة والتحول إلى جن.

تتحقق تلك الأعراض لدى منقصي الشخصية, المجانين. وللوصول لهذا هناك عوامل ظروف مسيرات معقدة لا أستطيع هنا طرحها.
أعتقد على أية حال أن الوصايا العشرة كافية لهزيمة الجن والذي يقبع داخلنا.
تكلم الراهب الباكستاني اليوم خلال طقس الجنازة, أمام مقربي ضحايا الجريمة, متضرعاً العفو والتسامح لمرتكبيها. رغم ذلك فقد أرتفعت الاصوات الشابه مطالبه بالانتقام .

لقد عشت مفهوم العفو والتسامح بعمق خلال متابعتي للكلية الارثوذكسيه.
ربيتُ صداقة مميزة مع زملاء أورثوذكس, ومن بينهم كانوا الكسندر, حنا والجميلة جوليانا. ينتمي جميعهم لعائلات مرموقه. كانوا يراودون بيتي المُستأجر, يملك كل منهم سيارة, الشئ الذي لم يكن يراود حلمي. بالمقابل كانوا يحسدونني لسكني منفلاً عن عائلتي, كذلك لاني كنت الاول في الصف في موضوع الرياضيات, ميزة لم يكن باستطاعتهم تحقيقها.

تطلّب من مُدرس الرياضيات, الأستاذ مروان قعبور, وهو درزي ورسام, أن يمتحن الصف قبل الامتحان الرسمي لتقديم الناجحين للفحص النهائي. طلبتُ مني جوليانا الجميلة, الغنية, غير الخجولة, والمتفenne في التذلل, أن أنقلها الامتحان ولهذا فقد جلست خلفي خلال الفحص . حلّلت الامتحان بعشر دقائق وكانت جوليانا من حين لآخر توخر ظهري بقلمها لتمكينها من رؤية الحلول. نقلتُ الأجوبة على ورقة نظيفة حيث كانت المسوّدّة مُتسخة, وبرمشة عين ناولتها لجليانا. سلمتُ الفحص للمُدرس وخرجتُ من القاعة. شكرتني جوليانا بأكثر مما كنت أتوقع, لكن حول سؤالي عن مصير المسوّدّة لم تجبني. فهمت أنها قد سلمت الحلول المكتوبة بقبضتي واضعة أسمها أعلى الورقة وسلمتها للأستاذ.
بدأت بالقلق لأنني كنت متأكدا بأن الخدعة سوف تنكشف .

كان يسود الكلية النظام والجدية والانضباط, لهذا حتى أتقي العقاب المُحتمل توجهتُ إلى أستاذ الرياضيات, مروان قعبور, مُدعياً أنني خلال الفحص كنت قد نسيت المسوّدّة على مقعدي ولم أعرف مصيرها. أبتسم الأستاذ قائلاً أنني توجهت إليه متأخراً, وأن الموضوع بتصرف المدير حنا أبو حنا, لان ما حدث أدّى إلى نتائج أفضع من تصوري, فجوليانا كانت قد مكّنت جميع أعضاء فرقتنا لنقل الحلول.

كانت قد وُجّهت لأولياء أمور الطلاب المعنيين دعوةً لحضورهم المُلح لمقابلة المدير. كذلك والذي كان قد دعي لكنه لم يحضر. تجمع الجاهة الارثوذكس في مكتب المدير, والذين كانوا يعرفون بعضهم البعض وهم أولياء أمور الطلاب أصدقائي, والذين تواجدوا هناك أيضاً.

توجه المدير حنا أبو حنا بقسوة للأباء مُوضحاً أن تحصيل الأبناء العلمي غير كاف, وأنهم خدعوا خلال الفحص, وبهذا فأنهم يخاطرون بعدم تقديمهم الامتحان الرسمي.

كان من بين المدعوين, أحد أعضاء المجلس الإداري للطائفة الارثوذكسيه, المالكة لتلك الكلية, وهذا كان يشعر وكأنه في بيته الخاص. بعد أن سمع كلام التوبيخ بسبب وضع ابنه, توجه إلى المدير سائلاً إياه, بروح استعلائية, مشيراً إليّ:
"لكن هذا.. لماذا لماذا لم يحضر والده؟"
أبتسم المدير وأجاب:
"لأنه هو الذي نقل الحلول للجميع, والآن استسمحكم عذراً فعلي معاقبته"
كنت قلقاً حينما كان الآباء خارجين من المكتب مُجرّري أذيالهم .
"حدثني الآن, كيف انتهى الوضع مع الجميلة جوليانا. بماذا أغرتك, ها !. لقد نقلتها الامتحان . إعترف بأنك فقدت دماغك من أجلها . ها!"
توجه إلي المدير بلطف وأبوه.
"في الحقيقة, كنت قد نسيت المسودة على المقعد...."
قاطعني المدير الشاعر ملقياً هذا البيت والذي ما زلت أذكره بمُتعه:
"وجهُ الفتاة الطري / أغرى الفتى القروي"
تلخّص العقاب بالطرده من المدرسة ليومين وإعادة الامتحان.
"أختفي ليومين وكن حذراً"
وصّاني المدير الارثوذكسي, ذلك الذي كان يسميني "شيخنا" وأتضرع الله أن يمد في عمره.

17 كوايبس أمريكا العشره ومختار إسرائيل, إميل حبيبي, سويةً مع الشيخ,
يخترعون البيريسترويكيا قبل ميخائيل غورباتشوف

"الكوابيس العشرة في أمريكا" هو عنوان مأساوي لريپورتاج تنشره جريدة الـ "ريپوبليكا" اليوم على صفحة داخلية. يُلخص قلق الأمريكيين لهشاشة وسائل الدفاع ضد هجمات إرهابية ويشير إلى جهل جذور هذه الهجمات. تنصح المؤسسات المواطنين بالحذر ومراقبة عشرة أهداف: الطعام، الماء، الطيران، الرسائل، ... الخ. تعترف المؤسسات بعدم تدقيقها لمصدر العمليات الإرهابية ويمكن أن تكون نابعة من جهات داخل البلاد، ولا تتعلق بـ "بن لادن" أو أفغانستان في كل الأحوال؛ يذكر المقال أن الوضعية الحالية هي تعبير وتجسيد للشياطين التي فاقت من سباتها في عالم غير إسلامي.

نقلت المرناه هذا المساء مناظراً ترتعد لها الفرائص: عسكري على متن بارجة عسكرية ضخمة، تمسك كلتا قبضتيه بمصدر ضوء ساطع، محاطاً بالعممة ودخان كثيف. كان يحرك ذراعيه بشكا آلي، مشيراً إلى ملاحى الطائرات للتخليق في بعثات متواصلة صوب كابول، من أجل استئصال جذور الشياطين. في جهة ما على الأرض، ملايين الشياطين السابته قد أفاقت. "لكن هذه الحرب ليست بين الأديان" يقول عنوان المقال أمس لبيرناردو فالي.

في حيفا، خلال دراستي في الكلية الأرثوذكسية، سكنت في وادي الجمال، حيّ يقع على ساحل المتوسط، القريب من مسكني، حيث كنت أرود كل عصر الشاطئ لمطالعة كتب الأشعار وحول الماركسية اللينينية، أستعيرها من مكتبة المدرسة. تلك المطالعات على شاطئ المتوسط كانت قد أنضجت فهمي للشيوعية وصرت مقتنع بالحزب ووصلت في صفوف الشيبية الشيوعية مراكزاً متقدمة. أنهيت دراستي الثانوية بنجاح، وقررت أن أعمل لسنتين حتى أقرر بعدها مصيري. خلال تلك السنوات نشرت بعض أشعاري في صحيفة الإتحاد. كنت ألقى المحاضرات للشيبية وصرت خطيباً جيداً ورفيقاً متماسكاً. الأمر الذي أَرْضَى والدي. كنت قد لاحظت مع هذا وجود بيروقراطية مُبالغ بها في صفوف القيادة، وتفاوتاً بين القناعات والقيم التي كان يشيد بها الخطباء والناحية العملية من تصرفاتهم. كانوا يتصرفون كأرستقراطيين، يُقلدون البرجوازية ويقولون أشياء مزيفه. كان معظم معارفي متأكدين من أنني سأحصل على منحة حزبية للدراسة في بلد اشتراكي، لكن بسبب ما لاحظت من تصرفات كنت قد ربيت خياراً آخر. الأمر الذي أثار كثيراً على علاقتي مع والدي.

ربيع عام 1980 كان الكاتب المشهور إميل حبيبي، المُعتبر آنذاك الأب الروحي للحزب، وبرلماني مستقيل من الكنيست، ضيفاً مع أولى القياديين لاحتفال مسائي، والذي كنت أديره بنفسه أمام آلاف الحاضرين، الذين تجمعوا هناك من كل صوب

وحدب للمشاركة مخيم العمل التطوعي، والذي بادر له فرع الشبيبة وأستمر لثلاثة أيام متتالية.

الكاتب، تهكمي الصفة وذو شخصية قوية، كان قد استقال سنوات الخمسينيات من البرلمان للتفرغ للنشاط الأدبي، لأنه لم يرد تلطيخ ذهنه بالتزييف الذي تتطلبه الدبلوماسية، ولأنه كان تعباً لإكمال وظيفته كمختار، حسب رؤيته التهامية، لبرلاماني إسرائيل. وقد تفرغ بشكل كامل للأدب بشكل أنه حصل على أعلى الجوائز من فلسطين وإسرائيل.

ذاك المساء، طلب إميل حبيبي من أحد الرفاق المسؤولين المحليين، بينهم كان موجوداً أيضاً أبي، دعوتي للتكلم إليه بعد الاحتفال. كان الكاتب وأبي يتخاصمان كل لقاء: "إنك فوضوي ومُحتار: من جهة تريد أن تكون شيوعياً ومن الأخرى لا تستغني عن الشرائع الإسلامية!" أما أبي فكان يجيبه: "اسمعوا من يتحدث: مسيحي لا يستطيع أن يستغني في أي من مقالاته عن الأحاديث النبوية الشريفة، ومن ثم لو لم يتزوج من يهودية لما حقق هذا النجاح". كان يخنتم كلاهما جدالهم بالضحك.

قدمني سكرتير الفرع للكاتب. حبيته وبدوره أطرى على كفاءتي كمدير للاحتفال وعلى تمكني من اللغة والخطاب والثقة بنفسي. أما أبي فقد هاجت عواطفه فرحاً، وحبيبي أقترح علي القبول بمنحة دراسية في المدرسة الحزبية الشهيرة في موسكو. ذلك العرض كان حلماً لجميع زملائي.

"أشكرك" قلت وأردفت "لأنني قررت إكمال دراستي بإيطاليا"

"ألا تريد أن تصبح دبلوماسياً؟"

"لا أريد أن أصبح شخصاً زائفاً"

أبتسم الرفيق حبيبي بينما كان والدي ينظر إليّ والشرر يتطاير من عينيه.

"لماذا تريد الدراسة في إيطاليا علماً بأنها دولة رأسمالية؟" سأل مبتسماً.

"بالضبط لأن إيطاليا دولة رأسمالية! أريد التعرف على حقيقة الرأسمالية. أريد لمس الجوانب الهمجية لذاك النظام"

"ماذا تريد أن تدرس في إيطاليا"

"الطب والجراحة"

"لكنك شاعر لماذا لا تستمر بكونك شاعر؟"

"لأنني قد صرت شاعر. أريد تعلّم وإدراك المجهول عني. كذلك لا أبغي استمرار

الحياة ودماعي بين الغيوم. أبغي أن اتصل مع الواقع"

"برافو! أقدم لك تهاني وتبريكاتي" أجاب الكاتب وتوجه إلى والدي مكلماً "لم أكن

أعرف أن لديك ابناً بهذا النشاط".

أثار موقفي هذا، في البداية حفيظة والدي والذي لاحقاً كان قد أنفق مع خيارتي للدراسة

في إيطاليا، ذاكرةً آية قرآنية "لست عليهم بمسيطر"، أما أنا في ذهني كنت أردد أول

آيه قرآنية نزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم "أقرأ" والتي تعني حسب إسلامي:

تعلم، تعرّف وافهم غيرك والمجهول.

أميل حبيبي, الأب الروحي للشبيوعيين, استقال من اللجنة المركزية للحزب أوائل العقد الثامن. برّر موقفه هذا بأن تلك الأيديولوجية كانت قد نفذت رسالتها, وفي المستقبل ستكون هناك مقارنات حضارية في العالم. كان قد ترأس تحرير صحيفة سمّاها " كل العرب" ولهذا العنوان كان قد أتهم بتحوّله إلى قومي عربي, لكن في دفاعه عن نفسه كان يقول "لقد سميتها هكذا لأنه يمتعني أن أسمع بآعي الصحيفة يجولون في الشوارع وهم يدلّون: - كل العرب بشيكل -"

18. الشيخ زاكيتي يرفض أبوية الأب لويس

31 أكتوبر 2001

جاء اليوم لزيارتي بلدياتي* زاكيتي مع صديقه أحمد. يعمل زاكيتي في مصنع. بدا عليه الفلق لأنه يمكن أن يصير باطلاً عن العمل بعد شهر، فبحوزته اتفاق عمل سينتهي مفعوليته. تُسجل الورشة حيث يعمل الهبوط في الطلبات والتصدير بسبب الحرب ويُخشى أن الأجانب سيكونوا الضحايا الأوائل للبطالة.

أيضاً م. جبارين, والذي أسميه زاكيتي, كان خلال فترة الدراسة الثانوية شيخاً لكن ليس شيوخياً.

ينحدر من الجبارين, المذكورين في كل الكتب المقدسة. تسميهم التوراة العمالقة وفي القرآن الكريم هم الجباريه, الذي رفض شعب موسى عليه السلام محاربتهم. يزن زاكيتي أكثر من مئة كيلو وطوله يقارب المترين. قرأ هذا المساء بعض صفحات من يومياتي هذه وهكذا علق:

"أنا أيضاً بدأت بالصلاة عندما بلغت العاشرة من عمري. كنت أول من يصل إلى المسجد. كان يأتي من ثم أولئك متقدمي السن الأميين ويطالبونني بقراءة سور من القرآن الكريم. كنت أقرأ وأعتادوا حتى على الاستمرار. لقد انفعلت مرة عندما أحسست خلال قراءتي وصول الإمام. جلس مع الآخرين للإصغاء وحينها تلعثمت لوجوده, لكنه بعد أن شعر بانفعالي ربت على كتفي وشجعتني على الاستمرار. يعتقد المسلمون الناضجون أن الأطفال هم الذين يجسّون ويعرفون قراءة القرآن، وأن الله سبحانه وتعالى يضم في قلبه ويبارك من يصغي لتجويد يفاع.

راودت المسجد حتى وصول أولئك المتزمتين الذين تأثروا بالثورة الإيرانية. أرادوا التسلط على كل شيء. آنذاك ظهر على المنبر شاب ملتحي مع عقلية مُشتاطة, إلى درجة أنه أراد منعي القيام بصلاة استقبال المسجد وهي طوعية. مرةً حينما كنت منهمكاً بتأديتها, قام أحد المتزمتين بشدي من حزامي لعرقلي, لكنه لم يستطع. عندما أنهيتها صفعته على فمه ومنذها لا أطبق الشرائع الدينية"

يشابه موقف زاكيتي عندما يجيء لزيارتي ذلك لأمثاله من أبناء أمتي المتواجدين في إيطاليا. يسيطر على نقاشاتنا نزعة المقارنة في الحديث عن التجديدات.

عادةً لا يهتم الصاغي بمضمون وأبعاد إنجاز حديث الصديق المُحدث, إنما ينشغل في التفكير والتمحيص عن فكرة خاصة به تمكنه بعد نقلها شفهيّاً من معادلة زهو الطرف الآخر.

قرأ زاكيتي مرةً أخرى صفحات من يومياتي, ومن ثم أستمر في الحديث:

" أنا أيضاً أكملت دراستي الثانوية في مدرسة في حيفا, في مدرسة الراهبات. كنت أفضل أن أدرس في الكلية الأرثوذكسية, لكن الإدارة رفضت طلبي بسبب الأماكن المحددة للطلاب المسلمين. كانت مديرة المدرسة سيستر بيرن تگن لي الاحترام الشديد, كذلك الأب لويس كان يقدرني. مرةً تخاصم خلال فرصة الصباح, طالب مسلم مع آخر مسيحي وكليهما من صف واحد ويصغرونني. تضامن خمسة طلاب مسيحيين

مع ابن ملتهم ضد أربعة مسلمين الذين وقفوا جانب صديقهم. كان الأب لويس الوجه الروحي للمدرسة، وقد طلب مني المشاركة في فض الخلاف، ورغم أنه تحتم عليّ الدخول للصف حيث كانت السيستر جيني تعلمنا الإنجليزية فقد فضلتُ حل المشكلة. تكلمت مع الطالبين المتخاصمين ومن ثم أنتقدت الطلاب المسلمين لتضامنهم الأعمى لصديقهم. بعد ذلك توجهت إلى المسيحيين ووبختهم على مشاركتهم، قلت لهم أنه توجب عليهم عدم التدخل المباشر والفصل بين للأطراف بدل تأجيج الخلاف. وبعدها طلبت منهم أن يتصافحوا، وقاموا بهذا. كان الأب لويس راضياً، وصارحني بأنه بدوني لم يكن ليقدّر على حل المشكلة.

عندما دخلت الصف لحصة الإنجليزي طلبت السيستر جيني تفسيراً لتأخري. أجبتها بأن الأب لويس كان قد... "أبونا لويس" قاطعتني السيستر نائبة مديرة المدرسة لتصلحي. لكنني استمررت بالحديث مسمياً إياه الأب لأنني لا أعتبره أباً لي" وضّح زاكيتي.

أما أحمد، مرافق بلدياتي فهو قادم من قرية في الجليل مختلطة من المسيحيين والإسلام، فقد رفض فكرة جبارين لأن المسلمين في المدن المختلطة يسمو الخوري ب"أبونا".

م.ق.
*بلدياتي- ابن بلدي .
المقارنه

19. طبيب النفس الأمريكي دافيد كوبير يعالج المرضى بالصلاة الإسلامية

1 نوفمبر 2001

كان يراود المساجد متقدمي السن فقط حينما صرت شيخاً. يُكْرَم الله تعالى الصلاة جمعاً ولهذا يفترض على المسلمين الصلاة جماعة ظهر كل يوم جمعة. تتركز في ساحة المسجد الحمامات لأداء الوضوء: التطهر, غسل أعضاء من الجسم بترتيب ما مع التهليل.

غير ممكن الصلاة ووصول قلب الله بالوسخ: دون الوضوء. وفعلاً تعني الصلاة إقامة الصلة مع الله. المؤمن المسلم (والمسيحي أيضاً) يهدف من إقامة الصلاة, الاتصال بالله تعالى.

يتوجب على الأطفال أن يتخذوا من الطرف الأيسر, وفي الصفوف الخلفية التي تتشكل خلف الإمام. بنظرة تتجه إلى الأسفل, اليد اليمنى تضم اليسرى فوق أو تحت السرة, وبأكتاف متلاصقة, تُقام الصلاة.

يتوجب على الجميع النهي للصلاة ذهنياً. يقرأ الإمام سورة الفاتحة بصوت جهوري. تعني كلمة سورة فقرة من القرآن, تنحدر من كلمة سور ويعني بها أن تلك الفقرة مُحاطة وتتكون بتكامل من موضوع بمغازيه وإشاراته. يمكن للسورة أن تكون قصيرة أو طويلة. أقصر السور تتكون من أربعة آيات وأكبرها من 286 آية. تتكون سورة الفاتحة من سبع آيات, هكذا تُقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين(1)الرحمن الرحيم(2)مالك يوم الدين(3)إياك نعبد وإياك نستعين(4)إهدنا الصراط المستقيم(5)صراط الذين أنعمت عليهم(6) غير المغضوب عليهم ولا الضالين (7)

يقرأ المسلم الملتزم هذه السورة يومياً عشرات المرات خلال الصلاة وفي مناسبات أخرى, مثلاً لمباركة عقد ما بين أطراف.

يقرأ الإمام الآيات السبع وبعدها يقوم المصلون بالإجابة جمعاً آمين. يستمر الإمام بعدها بقراءة سورة, تكون عادة قصيرة, ومن ثم يركع واضعاً يديه على ركبتيه وخلال هذا يردد ثلاث مرات ذهنياً: "سبحان ربي العظيم". يتبع المصلون الحركة. من ثم يستقيم بصدرة وبعدها يسجد, يطوي صدره حتى يلمس بجبينه الأرض. أصابع اليد مفروشة على الأرض بحيث أن تتمركز رؤوس الخناصر بمحاذاة ليات الأذنان. في تلك الوضعية يهلل ثلاث مرات ذهنياً: "سبحان ربي الأعلى". من ثم يستقيم الصدر وبعدها يكرر السجدة, هكذا قد أقام ركعة. يتم الركعة الثانية, وخلالها بعد أن أتم السجود مرتين يبقى جالساً على الصفحات الخلفية من الساقين. وفق بعض المذاهب, يتوجب على الإصبع الكبير من القدم اليمنى أن يبقى مشدوداً مشكلاً مع الأرض زاوية 45 درجة. أما الساق اليسرى فيتوجب أن تكون ممدودة وبتواصل مع الأرض. في هذه الوضعية يتوجب قراءة التحيات, ومن ثم الصلاة الإبراهيمية. في النهاية يسلم على الملائكة يميناً وبعدها يساراً مردداً "السلام عليكم ورحمة الله".

ممنوع على المسلم قطعياً التوقف عن الصلاة إلا لأسباب قاهرة. يتوجب على الإمام أن يتلو بصوت منخفض, عاطفي وحسب رأي البعض يجب الاقتراب من البكاء, حتى أنه بعد الصلاة كان بعض المصلين يُصرِّحون بأنهم دمعوا لسماعهم تضرع الإمام.

وصفتُ أعلاه ركعتين فرض. تحتوى الصلوات على ركعات سنة وخلالها تُفك الصفوف ويقوم كل مصلٍ بها لوحده. يتصافح المصلون في النهاية داعين الله قبول صلواتهم. يذكر الكاتب الأمريكي دافيد كوبير وهو طبيب نفسي وضعية السجود في إحدى منشوراته التي لا أذكر عنوانها، كعلاج لحالات الإحباط النفسي. ترتب حركة السجود وفيها يُطوى الصدر ليلمس الجبين الأرض حركه طاقية للجسم بحيث تتوزع الطاقة للتصدي للإحباط. تفسر أيضاً فرضيات العالم إينياتسو مايور العلاقة بين حركة الجسم وتوزيع الطاقة، خاصة عند الجهاز العصبي المركزي، التكوين النفسي وأشكال التفكير لدى المسلم. أعتقدُ أن تلامس الجبين مع الأرض، وقت ترتيل التسابيح، تهییئ سريان الدم إلى الرأس وتوفير الأكسجين لخلايا الدماغ.

السجود

20. أبو جودت يكتشف أن الحياة جميله قبل فينتشينزو تشيرامي

2 نوفمبر 2001

تبحث هذا اليوم الـ "ريبوليكا" على صفحة داخلية تأثير الحرب على التناسل بمقالين "الجنس في زمن الحرب, رغبة في التلاصق" و"ستزداد الرغبة في تكوين عائلة" وهذه مقابلة مع المفكر الأمريكي العملاق المتخصص بالأزواج جون غريه. يتفق جوهرها كلا المقالين على أن الحرب تؤدي إلى التعاشر والرغبة في إنجاب الأطفال.

ذكرني هذا بعرض تلفزيوني شاركت به قبل سنتين وفيه تحدثت عن أبو جودت. وهذا أب فلسطيني كان عمره عشرين سنة عام 1948 عندما خسر الفلسطينيون الحرب, سنة النكبة, مع الإسرائيليين ووفق قوانينها اضطروا لاحقاً أن يعيشوا. يمتاز جيل أبو جودت بكونهم آباء لعائلات كبيرة, بمعدل عشرة أولاد للأب, اختلافاً عن الأجيال السابقة واللاحقة والتي يشكل معدلها أربعة أفراد. هُزم أبو جودت وأبناء جيله في حرب جابهوها وجهاً لوجه مع العدو. فقد في تلك الحرب الحياة الكثير من أبناء جيل أبو جودت. تضاعف الفلسطينيون في إسرائيل من تلك السنة من مائتي ألف مواطن إلى مليون ومائتين.

تُصرح طبيبة النفس ماريا ريتا بارسى حول هذه الظاهرة الناشئة عن الحرب بما يلي: "عندما يترتب من الخارج حالة عدائية, هجوم, وخيانة تهدد الوجود فإن بين الزوجين يولد حافزاً, لمجابهة مشاعر الخوف من الزوال, مثلاً (وليس دائماً ضرورياً) بالتكاثر وإنجاب الأطفال".

يصرح حول نفس الموضوع, جون غريه, عملاق فكر الأزواج: "تتكثف الرغبة, وبالذات الغريزة, والتي تدفع الفرد لإيجاد شريك مضمون, للتزوج, إنجاب الأطفال". يفسر المحللون حول ما وصفته من تصرفات جيل أبو جودت.

شرحت في ذاك العرض التلفزيوني أن أبو جودت بعد هزيمة الـ 48 كان قد أسس شركة لتنظيف المساكن, والعمل في الحدائق في مدينة تل أبيب. أستطاع الكثير من الشباب أبناء جيله من بلدتنا العمل في شركته وسد الرمق.

كان أبو جودت وعماله ينظفون أدراج البنايات, يعتنون بحدائق أعدائهم. استطاعوا مع مرور الوقت باختلاطهم بالإسرائيليين, حاملي القيم الغربية, بما كانوا يربحون من أجرة بخسة, أن يبعثوا أبنائهم للدراسة أيضاً في أرقى وأعقد الأكاديميات الأوروبية.

يشكل الضغط النفسي وحب الحرية في المجتمعات المتحضرة عوامل لتقليص نواة العائلة, وهذا تثبته قلة الإنجاب في أوروبا الحالية. تتضاعف هذه العوامل في المجتمع الإسرائيلي, ولهذا فقد قررت الدولة تخصيص دخلاً لضمان حياة الأطفال, والتشجيع على الإنجاب. تقدم المؤسسات راتباً يتوافق مع عدد أفراد العائلة.

تفكر طبيبة النفس جانا سكيلوتو بشكل عكس ما أتفق عليه الباحثون آنفي الذكر. لن يكون تكاثراً في أفراد العائلة حسب رأيها في زمن الحرب، لأنه هكذا يفكر رب العائلة: " أخاف من الذي يمكن أن يواجهوه أبنائي! أي عالم يمكن أن نقدمه لهم؟".

تصرف أبو جودت بعكس كل هذا وكل يوم كان يسافر ذهاباً وإياباً ثمانين كيلومترا لتنظيف وتجميل حدائق أعدائه المفترضين. كان يرفع من معنويات عماله من أبناء شعبه مازحاً: " ما نقوم به اليوم حقيقةً هو نزهة سنمر بمحاذاة البحر، ونتمتع بمشاهدة الشاطئ، سنمتع أنظارنا بأجساد النساء شبه العريانة. بعدها سنعمل ساعتين بجو هاني وبعيدين عن حر الشمس على رخام أدراج البناية، وبعدها سنقضي وقتنا عاملين بين أزهار وورود الحدائق ومن ثم سنأخذ أجرتنا. سنتمتع يا أحبائي عندما نستثمر نقودنا ليصبح أبناؤنا أطباء ومهندسين"

علماً بأن بينيني في فيلمه "الحياة جميلة"، سيناريو فينتشينزو تشيرامي، يشرح أفكار أبو جودت، فإن آية قرآنية تقول: " لا تقتلوا أولادكم من إملاق، نحن نرزقكم وإياكم". يعني القتل في هذه الآية، حسب رأي الإحجام عن الإنجاب. "تمتعوا يا أحبائي، تمتعوا" هكذا كان يقول أبو جودت والذي كلمته قبل عدة أشهر خلال وجوده في إيطاليا لزيارة ابنه، قال لي: " بعد أن نظمت كل أبنائي الثلاث عشر، أريد أن أقضي باقي حياتي في هذه البقعة من الجنة في إيطاليا، قريباً من ابني الدكتور".

" دواوين فارغة" هكذا علّق على هذا الكلام ابنه صديقي وزميلي. "يقول هذا من أجل إرضائي. لإقناعي أن أستسلم بالعيش هنا والانبساط". مع كل هذا نحن الأبناء كنا قد قررنا أن نتمتع لأن الحياة جميلة جداً، وصرخة النصر علينا أن نعمل من أجل سماعها بعد من جيل المستقبل.

النصر

**21. أبراهام يهوشوع مُرتبك في اختياره بين إسرائيل المسيجةً وقدس أوائل القرن
امناضي**

3 نوفمبر 2001

شاهدت ليلة أمس برنامج حول الصراع في بلادنا. تكلم خلاله الكاتب المشهور أبراهام يهوشوع وشاعر فلسطيني. لقد حاولت تكراراً قراءة روايات الكاتب أبراهام يهوشوع

ولكن رغباً عن إرادتي لم أستطع أن أتجاوز العشر صفحات الأولى. لا يعجبني ما يكتب، ربما لأنه يضطر مخيلتي لالتقاط صورهِ الدقيقة والتي أعتقد أنها شخصية. يصرح الكاتب حول موضوع الصراع أن على إسرائيل الانسحاب من المدن المحتلة، أن تهدم حالاً المستوطنات الإسرائيلية، وأن تساعد دولة فلسطين الوليدة بتمكين مواطنيها العمل في إسرائيل. مع هذا يقترح الكاتب ببناء جدار بين الدولتين لضمان أمن إسرائيل.

لا تجذبني روايات أبراهام، لكني أؤمن صراحتهِ في بعض التصريحات الصادرة منه، أياماً قليلة قبل أحداث ال11 أيلول. يعيش حالياً في حيفا، لكنه يُعبر عن شوقهِ لقدس طفولته حيث وُلد. يقص عن مدينهِ خلال الثلاثينات من القرن الماضي والتي كانت تبتث طهارة الروح لبهاء وحدة الأماكن المقدسة للديانات الثلاث ولسكانها، رغم أنه تواجدت بعض مظاهر التفرقة حينها.. بدأ الكاتب بكرهية الحياة في البلد المقدسة ومن ثم هجرتها عام 1967، بعد أن قررت إسرائيل ضم القسم العربي لها. فجّر هذا القرار الكراهية بين شعبي المدينة التي اعتبرت رمزاً للسلام فصارت عاملاً للحرب. ترتب عن هذا أن يتحول سكانها الأصليون إلى أعداء بين بعضهم وعبداً لمشاريع سياسية وأيديولوجية.

يذكر التاريخ أن سكان القدس كانوا قد قاوموا بعنف قبل سقوط المدينة على يد الجيش الإسرائيلي. لم يتقدم أي باتريارك، مُفتي أو راببن لتسليم مفاتيح المدينة لموشي دايان، كما فعل الباتريارك مع الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه. ومن بين إنجازات هذا الأخير تحرير المجتمع الإسلامي من العبودية، وهو الذي توجه إلى السادة مخاطباً "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً!"

كنت قد قررت أن أدرس في إيطاليا، وتوجب عليّ تعلم اللغة الإيطالية. توجهت إلى المركز الثقافي التابع للسفارة الإيطالية في تل أبيب، سواءً لدورة اللغة، وكذلك أردت التعرف على المدينة لأنها الصناعية الكبرى في البلاد. ولحصي على التعرف على عقلية السكان هناك بحثت عن عمل في مقهى لتمكيني من التواصل مع كامل الشرائح الاجتماعية. استضافني في الشقة المستأجرة رفيق من بلدي: سبارتاكوس. توجهت في المساء إلى شارع بن يهودا القريب، وجلست في ساحة المقهى. تقدم إليّ نادل وسألني بالعبرية عن طلبي. أحضر لي القهوة قائلاً بالعربية: تفضل. اسمه خالد، ينتمي إلى عائلهِ تسكن حوالي مائتي متر بعداً عن بيتنا. تبادلنا الثقة ورأساً استشرته حول مكان عمل في مقهى. دعاني أن أعرف بنفسي في الصباح الباكر لليوم التالي لصاحب المقهى، قائلاً: "قل له: يوصيك تشارلي بقبولي للعمل!". تحول اسم خالد في تل أبيب إلى تشارلي. صباح اليوم التالي نفذ تسيون صاحب المقهى طلب تشارلي. "أذا رغب تشارلي بهذا، فليكن. هل أنت قريب له؟" سألت تسيون. "نعيش في نفس الحي وتربطنا صداقه عائلته"

" أنا سعيد أن يعمل هنا نادلاً مثل تشارلي. أثق به أكثر من أي يهودي. كان يعمل هنا إسحاق لوقت غير بعيد وكان ينشف الخزنة من النقود كل ليله" صارحني تسيون.
"أريد إخبارك أنني أبغي العمل فقط لسنة واحدة لأنني أدرس اللغة الإيطالية وسأسافر لإيطاليا لدراسة الطب" أخبرت تسيون.
"هل نجحت في كل الامتحانات الثانوية؟"
"نعم".

"كول هاكافود, كل الاحترام! وأيضاً في الرياضيات؟".
" وحصلت على علامة تسعة من عشرة".
"كول هاكافود! لقد فشل ابني في الرياضيات واللغة الإنجليزية. سأعرفك عليه ممكنك مساعدته لأنه يتوجب عليه إعادة الامتحان"
ربيت مع تسيون علاقة جيدة. وصل نفس اليوم شلومو شريكه وهو قريباً له ويصغره سنأ. ينحدر كلاهما من إيران وكلاهما أصلع.
حاول شلومو في الأيام الأولى مناداتي ب دافيد, لكنني لم أوافق.
"سيكون أسهل للزبائن مناداتك دافيد" فسّر شلومو.
" سيتعود الزبائن على اسمي" أجبت.

لم يشترط تسيون عليّ تغيير اسمي, لكن الشريك المُلح حاول إيجاد اسم عبري قريب لاسمي: "سامي" أو "سالي". أستسلم بعدها لرغبتني بعد حادث. ناداني عندما كنت حاملاً بعض الطلبات ومتوجهاً نحو إحدى الطاولات:
"سالي! خذ هذه الفطيرة وقدمها للطاولة المجاورة!"
رجعت إلى الخلف. وضعت الطلبات أمامه وقلت له:
"إذا كان يخجلك أن يعمل عربي هنا. فأخدم أنت بنفسك زبائنك!"

تدخل تسيون في الموضوع وبعدها لم يكرر شلومو محاولته وبدأ باحترامي.
كان يراود المقهى أشخاص مختلفون: عابري سبيل, سياح, موظفين, عمال, وفوق كل شيء الكالتيريم: وهذا مصطلح وُلد هناك, في ذاك المكان من تل أبيب. يعني أولئك الزبائن العاطلين عن العمل ويقضون معظم ساعات النهار في المقهى في الحديث عن هذا وذاك. يستهلكون القليل لكن وجودهم مهم, حسب رأي تسيون, لأنهم يتركوا الانطباع لدى العابرين بأن المقهى متحرك ويجذبون الزبائن.

يُقسم الكالتيريم الى فوز فوزيم وإلى شاخشاخيم. أيضاً هذه المصطلحات وُلدت في تلك المنطقة. ينحدر الأوائل من الدول الإشتراكية وخاصةً من هنغاريا, أما القسم الثاني فجدورهم ترجع إلى أفريقيا. كان بين الفوز فوزيم نساء جميلات وسهلات المنال, أما الشاخشاخيم فكانوا فقط ذكور, يحاولون دون جدوى معاكسة وإغراء نساء الأولين, ومرات عديدة كانت تنشب بينهم المشادات الكلامية الحادة.

" ليذهبوا إلى الشياطين كل الفوز فوزيم. من تعتقد نفسها تلك المرأة؟ نجوى فواد؟"
كان يتذمر لي يعقوب القادم من شمال أفريقيا.
" أطرده من هنا ذاك الشاخشاخ! إنه يتسكع ويعاكس دائماً زوجتي" كان يطالبني يوشكا.

أما أنا فتوجب عليّ المحافظة على مصلحة المقهى والتعرف بشكل عميق على العقلية الإسرائيلية.

كان بإسرائيل نائب مدير البنك المحاذي, يراود المقهى كل صباح للفطور. عراقي الأصل. كان يكلمني العربية, يلبس ملابس بسيطة ويرافقه دائماً مذياعاً صغيراً موجهاً فقط لمحطات بث عربية لسماع الموسيقى وأغاني أم كلثوم, فريد الأطرش وعبد الوهاب. أعتاد الطلب كل المرات البيض المقلي (العجة) والقهوة العربية. كان يحترمني لكنه كان متطرفاً سياسياً. وفق رأيه توجب علينا نحن الفلسطينيين الهجرة للعيش في الدول العربية الكثيرة في الشرق الأوسط.

كان يراود المقهى أيضاً يانوش وهو أهبّل الحّي. أصله هنغاري ويحدثون أنه كان مهندس طيران عندما وصل إلى تل أبيب, كان يناضل من أجل تحويل نظام الدولة إلى الشيوعية وبعد مشاركته بالحرب ظهرت على تصرفاته أعراض أمراض نفسية دون أن يستطيع التخلص منها. تضاعفت وفقد صوابه. كان مجنوناً منتظماً: نحيف, يلبس ملابس قذرة ولكن بترتيب. أعتاد إغلاق أزرار قميصه حتى العنق وفوق القميص كان يلبس جيليه مخطط لم يعتاد تزييره. كان يمشط شعره الفضي والأملس وذقنه القصير وغير الكثيف. أسنانه مستهلكة مع بقع سوداء, وزفيره كان يعبق بالدخان. شح الكلام. أعتاد أن يأتي إلى المقهى ثلاث مرات يومياً لتنظيف الفناجين والمقهي. عند وصوله, دون أن يحيي الموجودين, كان يتوجه نحو الحوض وبعد إنهائه من جلي المحتويات كان يطلب فنجان إسبريسو مشدداً أن يكون ثقيل. بعدها أعتاد المحافظة على سيجاره مشتعلة - من الصنع المحلي - بين شفثيه. من ثم كان يرجع إلى الحوض وبحذر كان يمد يده إلى زجاجة من المشروبات الروحية المرتبة فوق الحوض, يسكب منها حاجته ويقذفها في جوفه.

لم يكن عدائياً ولم يرغب في الحديث عن ماضيه. لكن مع مرور الوقت استطعت أن أكسب ثقته وتبادل الحديث معه طارحاً مواضيع علميه. كان يؤمن بنظرية غريبة حول الجيئوميتريا, وفي الكثير من المرات, كان يستعين بقلم رصاص أصفر وقصير, يحافظ عليه عادةً في الزاوية ما بين الأذن والرأس, ليشرح لي قناعاته بالعلاقة بين الكون والتصرفات البشرية. لقد أسعد أصحاب المقهى ومعارفه الهنغاريين الفوز فوزيم, انفتاح يانوش معي مُعلقين أنه لا يثق بأحد ونادراً ما يتكلم. كان الأهبّل يقدم خدماته للمقهي مقابل بعض فناجين القهوة واحتساء المشروبات الروحية بالخلصة.

وصل أحد الصباحات يسرائيل, نائب مدير البنك المحاذي, وكان مذياعه يبث الأغاني العربية. طلب فطوره, جلس قبالي على المقعد المرتفع وبدأ بالنقاش معي بالعربية. أعتاد يانوش عند سماعه الحديث بلغتي أن يدير ظهره ويشرع بتنظيف محتويات الحوض. وحينما كان يسرائيل يستهلك فطوره, أشار لي خلال نقاشه العنصري, قراءة بعض فقرات دستور حزبه "الليكود" والذي يدعم موقفه السياسي, وفقه من مصلحتنا نحن الفلسطينيين أن نترك البلاد. قهقهت وقلت باللغة العبرية "اسمع يسرائيل! إنك

تأتي كل صباح هنا. تأكل وتشرب قهوتك على الطريقة العربية. تتمتع بالأغاني العربية. وبنفس الطريقة تلبس أيضاً. تتشبه بكل تصرفاتك وذوقك وفق عقليتنا وتأنيبي مُدعياً أن نذهب من هنا لأنك تكرهنا. أقول لك أنك ضمناً تحب العرب وكل نقاشاتك هذه ماهي إلا لف ودوران. من الأفضل لك لفظ هذه القناعات لأنها مضرة وخاصةً لك".

بغرابة يانوش الذي كان مجتنباً بدأ بالقهقهة من أعماق أحشائه. ومن ثم استدار وحدقني مثبتاً عينيه بوجهي. تعجبنا أنا ويسرائيل.
" لماذا تضحك يا يانوش؟" سألت مُظهراً فرحي لكنه لم يجب. أشار بسبابته إلى وجهي, من ثم إلى رأسه طارقاً بها جانبه من فوق الأذن. أستمر مبالغاً بالضحك.
" أي نعم, سامحني. يسرائيل يأكل ويشرب على الطريقة العربية ويطالبن بالذهاب من هنا. إنه ممتع حقاً!" قلت, ويانوش أطلق قهقهات عالية. فهمت أن النقاش يسعده فاستمرت مُوجهاً كلامي له: " لقد أقتنى مديعاً لا يتكلم سوى العربية ويدعي أنه لا يتفق معنا!" أزداد ضحك يانوش فتوجهت بحديثي إلى يسرائيل: " قل لي بالله عليك! عندما سنذهب من هنا, من سيجهز لك الفطور العربي؟ من سيرقص ويغني بالعربي؟ أترى الفوز فوزيم؟! " أستمر يانوش بقهقهته العالية حتى عدم قدرته على المحافظة على توازنه. صار يتموج بجسمه. كان ينظر إلي ويكرر حركة سبابته. ضحك إلى حد أنه أضطر تجفيف دموعه حينما كان يسرائيل مستغرباً من الانسجام بيني وبين الأهل.

كان يراود المقهى أيضاً السيد آيل وزوجته. وهو إنسان ناضج تعود جذوره إلى أوروبا الغربية. كان يدير دكاناً في الشارع القريب ويأتي إلى المقهى بشكل منتظم ثلاث مرات يومياً, ليس لأكثر من عشر دقائق. يحتسي قهوته بالحليب ويأخذ فنجاناً لامرأته. أعتاد الزوجان التداور في هذه العادة. كان إنساناً هادئاً, قليل الكلام, دقيق التصرفات, تقريري. ثقافته عالية ولذلك كان يناديه معارفه بأل "أدون" أعتاد أدون آيل النقاش معي في تلك الدقائق, بلغة عبرية حديثة ومتقنة, حول برامج الموسيقى الكلاسيكية المبتوثة من التلفزيون, حول مائستري الموسيقى, الشعراء ومفكري الغرب. ولإثبات تقديره لي كان كل نهاية أسبوع يترك لي البخشيش.

أستحسن أدون آيل اهتمامي بالثقافة الأوروبية, وكان يدّعي أنه سيكون تعايشاً جيداً بين شعبي بلادنا عندما سيلحق العرب الفكر الأوروبي. كان توجهه هذا يترك لدي الانطباع بأن أدون آيل يفكر بأني ظاهرة فريدة, وأن أبناء شعبي متخلفين وجَهَله. وهذا كان يضطرنني إلى الكلام حول نضالنا من أجل المساواة واعتبارنا مواطنين عاديين لدى أجهزة الدولة.

أحد أواخر الأسابيع جاملني أدون آيل لانفتاح عقليتي مُدعياً أن هذا بسبب الثقافة الإسرائيلية. وقال أنه توجب عليّ النضال لدى أبناء شعبي حتى ينسجموا في السياسة الرسمية والتي تحقق الفهم العصري والديمقراطي.

"ألا تشعر أدون آيل أن على محدثك أن يعرق دماً حتى يستطيع إكمال الدراسة. أن السياسة الرسمية تُطبق التفرقة العنصرية لإبقائنا جهله ومتخلفين. ألم تقرأ أن شعبنا كان قد عانى المذابح وأن قرى كاملة هدمها الجيش. كيف تستطيع أن تقنع لاجئ يعيش على حافة الحياة بانفتاح العقلية الإسرائيلية؟ ربما لم تسمع عن مذبحه كفر قاسم؟ كان قد ذبح من مواطني تلك القرية الكثير بشكل بارد!" قلت وكان أدون آيل ينظر إليّ دون أن يغير تعبيرات وجهه.

" نعم إنني أدرك هذا" قال " أذكر تلك المعارك. لأنني كنت قد شاركت بها. توجب علينا أن نقوم بما فعلناه. هكذا فقط استطعنا إقناعكم على الاستسلام لجعلكم بعدها متحضرين!"

امتعضت من الإجابة, وعند خروجه من المقهى ذاك نهاية الأسبوع , لم ينس أن يترك لي البخشيش. أرجعته قائلاً:

"حافظ على نفودك سيد ألون! ليس بالنفود ولا بالعنف تستطيع إقناع الناس على التغيير".

كان يمر إليّ يوماً في المقهى وهو شاب نشط يملك دكان. عضو في حزب يساري صغير "متسبين" والذي تبنى نظرية تروتسكي. أعتاد إليّ التصريح كل المرات أن القضية الفلسطينية ستجد لها حلاً بالتأكيد, بقيام الدولة الفلسطينية بجانب إسرائيل ومن ثم دمج الدولتين لإنشاء دولة اشتراكية.

من مرادوي المقهى, لم يتغيب يوماً واحد الشرطي موشي وأحياناً كان يرافقه أخيه العالم النفسي, والذي معه كنت أتناقش حول أمور ثقافية, ومن جهته كان يبدي لي تقديره لي. حوّل أصحاب المقهى, تسيون وشلومو, عميل نظام الجمهور استهلاك الطلبات دون أن يدفع نقوداً لكن مقابل هذا توجب عليه المحافظة على أمن المصلحة. كان يُبعد تجار المخدرات والجنس, الذين انتشروا في المنطقة, ويتدخل حينما يتطلب الأمر لدى السلطات لصالح المقهى.

تدخل موشي مرةً لصالحه حينما هرع جنود مختصين بالإرهاب، إثر تبليغ لهم حولي للقبض عليّ, الأمر الذي كان سيهدد مستقبلتي.

اعتادت تانيا السائحة النرويجية, زيارة تل أبيب كل ربيع. جميلة , شعرها طويل لونه أحمر باهت, غنية, حساسة, لا يشوبها قلق, متحررة الصفات والتصرفات وشجاعة. تصادقنا وصارت تراود المقهى أواخر الصباح يوماً. كنت أخاطبها باللغه الإنجليزية, واعتادت أن تكتب في المقهى رسائل وخواطر. صارحتني بأني ألهمها أفكاراً جميلة للكتابة.

دخلت تانيا أحد الصباحات المقهى, مرافقة جندي معروف في الحي ببخله, قصوره في العلاقات الاجتماعية ومع النساء. يسكن في عمارة جانب المقهى وكان يمر أمام المقهى كل صباح مسلحاً ببندقيته متجهاً نحو مركز الشرطة حيث كان يعمل.

جلسا قبالتني على المقاعد العالية، حيثني الفتاه بالإنجليزية، طالبةً ساندويتشات، فقدمتها ومن ثم قدم لها تسيون طلبها، بغير عاداتها ويسكي مُضاعف. قلدها الجندي في طلب الويسكي. قدّمه تسيون، ومن ثم طلب مني الجندي الترجمة بالإنجليزية لتانيا لأنه يجهلها.

أستجبت لكنّي طالبت من الصديقة النرويجية تبريراً لتصرفها غير المعتاد مُظهراً لها غيرتي. أجابتنني تانيا بأن ذلك الغبي كان قد تقدم اليها في الشارع وألح عليها أن توافق على دعوته لشرب شيء ما سوية، معتقداً بتطور العلاقة وأن بعد ذلك الإستهلاك ستنتهي تلك المغامرة.

ترجمت للجندي رغبة تانيا في شرب الويسكي نخب التعارف بكأس أبيض: أي جرع محتويات الكأس مرة واحدة إلى آخر نقطة. وافق الجندي منتشياً، لكنه حينما كان يجرع الويسكي لاحظت أن عينيه تخرج من محارها.

طلبت تانيا بعد دقائق ثانية نفس كمية الكحول لكليهما. استجاب تسيون وأستسمحني الجندي بأن أترجم لتانيا أنه ذلك الصباح كان قد رجع من نابلس وهناك أضطر إطلاق الرصاص على المتظاهرين وقتل أربعة منهم. نفذت طلبه بامتعاض مُظهراً غضبي للاستفزاز وعدم موافقتي لمغامرة الصديقة النرويجية.

" كيف يمكنك أن تترجم أشياء من هذا القبيل؟ كيف يمكنه أن يقول أشياء كهذه أمامك، أنت الفلسطيني؟ " قالت تانيا بإستنكار.

" لا يعرف الجندي أنني فلسطيني! " أجبت.

" ماذا تقولون؟. ماذا قالت تانيا، كيف تفكر بما قلته، ترجم لي من فضلك! " قال الجندي. " تفكر بأن واحد مثلك غير قادر لقتل ذبابه! أنت لا تقوم بخدمتك العسكرية في نابلس! لماذا يتوجب عليك قتل المتظاهرين؟ مع من تعتقد أنك تتحدث؟ " أجبتة ونطقي باللغة العبرية قد أفهمه أنني عربي.

" علينا قتل الإرهابيين . سنلاحقهم أيضاً من حيث يجيئون، في بيروت! "

" عليكم عكس هذا الانسحاب من الضفة الغربية، ومن قطاع غزة، وأن تتباحثوا مع ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية. وليس قتل المتظاهرين! " قلت وأظهرت تانيا تأسفها للحدث.

"كيف تصرح بهذه الأشياء هنا في تل أبيب " علق الجندي.

" يقولون هذا أيضاً في البرلمان! "

" سنرى بعد قليل إذا يمكنك إصدار هيكل تصريحات في عقر دارنا. سأدبرك! " هدد مشيراً إلى تانيا للخروج من المقهى. أجابت تانيا أنها لا ترافق القتلة. ترجمت هذا حينما كنت أقدم له الحساب. خرج للتو. وبعد قليل رأيتة جالساً جانب طاولةٍ خارج المقهى.

"تفضل ماذا ترغب؟" سألته.

" أرغب أن أزوج بك في السجن. لقد اتصلت بنواة محاربة الإرهاب. سيصلون وعليّ انتظارهم! " أجابني.

" انتظرهم خارج المقهى من فضلك. إذا جلست هنا عليك الاستهلاك! " قلت فأبتعد الجندي عن المكان أمتاراً قليلة.

شهدا تسيون, صاحب المقهى وموشي الشرطي المشادة الكلامية.
بعد قليل سُمعت زعاقات إنذار لسيارة جيش. هرع بعض الجنود داخل المقهى
متذرعين ومصوبين بنادقهم بارتفاع الصدر, بحالة طوارئ, برفقة الجندي الفاشل في
مغامرته مع النرويجية وكان هذا يشير إلي قائلاً " هذا هو".
رأني جنود مقاومة الإرهاب بحالة عادية ودون انفعال, استرخوا, أوقفوا حالة
الطوارئ ونكسوا بنادقهم. طلب مني رئيس الفرقة وثائقي الشخصية. وحينما كان
يفحص هويتي, همست: " لقد تناقشنا فقط!"
"أغلق فمك" أمر رئيس الفرقة بلهجة تهديديه.
أنشغل تسيون وموشي بالتوضيح جانباً, ما حدث مع المسئول العسكري, حينما كان
ينظر إلي الجندي الفاشل البخيل شامتاً بي بحركات شفاهة وتقاسيم وجهه, مُظهراً
سعادة ورضاً.
سلمني بعد قليل العسكري أوراقه, وعند خروجه قال لي بصوت تحذيري وغاصب
"احذر مما تقوله هنا!". نظر إلي الجندي الذي هاتفهم قائلاً, "أنت, تعال معي الآن!"
وبنبرة القائد أستمر " بسبب فشل مغامرتك مع امرأة تُهاتفنا؟". خارج المقهى, سجل
رئيس المجموعة مواصفات الجندي الشخصية.
أخبرني موشي الشرطي بعدها بأيام, أن ذلك الجندي كان قد أتهم بإزعاج نظام
الجمهور وهو في حالة سكر, وأنه بدون تدخله كان مصيري السجن.

22. العلوم الحديثه تُحول الظليان إلى مسلمين

4 نوفمبر 2001

هذا الصباح, بعد أن أنهيت طقوسي في المركز الرياضي, توجهت إلى ملحمة عدنان
وكررت له طلبي لإعارتي كتاب حول الصلاة. عوضاً عن هذا طلبت منه مساعدتي
في التحقيق في ترجمه بعض الآيات القرآنية وكان قد أوعدني مُبدياً استعداداه لهذا
ولذلك.

لكن عدنان لا ينفذ وعوده. لم يُحضر أي كتاب ولم ألمس منه أي نتيجة عينية, فقلت
له: " ألا تشعر بأنك تجعلني أنتظر منذ فترة طويلة؟ لماذا لا تحترم رأيك؟ يتوجب
على المسلم تجنب هذا التصرف!"

حينما كنت أتكلم، كان عدنان يثبت نظره بي دون إعارته لمضمون كلامي. بدا منه وكأنه سارح الفكر وأن ذهنه مشغول بشيء آخر. حاولت تخمين ماذا كان يدور بدماعه ولماذا لا يحترمني، وقلت:

"أي نعم. لقد فهمت! ربما تعتقد أن أسهل طريقة للحصول على مطالبي هو قدومي للمسجد للصلاة وقراءة القرآن"

"عليك نور. الله ينورها عليك!" قال عدنان، مبتسماً ثم رجع في حالة غيبوبته الفكرية فعلقت رأساً:

"ومن يقول لك يا عزيزي أنني لا أقرأ القرآن، وأنتي لا أصلي؟ أفكر أن تنفيذ الشرائع الخمسة تؤدي إلى بناء شخصية مفيدة اجتماعياً، سليمة جسدياً، ونزيهة تجاه المحيط. أعتقد أن الله سبحانه وتعالى لا يبغى من الخليفة عبادته عبثاً، لا بل يطالبنا بتنفيذ تعليماته لنقترب منه. تطبيق الأركان الخمس تمكنك من أن تصبح مسلماً دون التأكد من كونك مؤمناً: يقبع الإيمان بالقلب والروح. يُفرق القرآن الكريم بوضوح بين المسلم والمؤمن. أعتقد أن مرتبة المؤمن أعلى من تلك الذي يطبق الأركان الخمسة بشكل أعمى دون أن يفهم مغزاها. ألاحظ أشخاصاً هنا، في إيطاليا، دون أن يطبقوا الأركان الخمسة كانوا قد طوّروا سمات شخصية ونفسية تتوافق مع مطالب الشريعة. هذا يعني أنني أرى في أخلاق الطليان صفات مسلمة دون علم منهم: طيبو الصفات، صبورين، يحترمون الأجانب، يساعدون الضعيف. تكوين هذه الخصال هو نتاج التطور العلمي والاجتماعي في الغرب".

بعدها توجهت إلى المحطة المركزية لاستقبال صديق جاء لزيارتي: الشاعر نيكولا ليتشارديلو والذي وقت مضي كان قد دعاني للمشاركة في اللقاء الشعري من أجل السلام في مدينة بادوفا.

تذكر نيكولا أن يحضر لي ديوانه المنشور والذي كنت قد أضعته خلال انتقالي من المسكن، كان يهمني قراءة قصيده مهداة لنيويورك ومقابله أجراها مع الشاعر ألين غينزبيرغ أواخر الثمانينات، خلال زيارته لأمريكا.

"يؤسفني أنني لم أزر نيويورك قبل 11 أيلول. كنت أرغب بزيارة أمريكا. أعتقد، كال الكثير من الأشخاص، أنه بعد هذه الأحداث سيختلف كل شيء. بالمقابل استطعت زيارة موسكو والتعرف على مظاهر الشيوعية قبل نهايتها بمدّه وجزره" قلت بينما كنت أوقف سيارتي في جانب بيتي الموجود في بلدة سان نازاريو.

"أما أنا فيؤسفني عدم زيارة روسيا الشيوعية. عكسك تماماً. كنت في أمريكا 1988. جُبتُ البلاد مسافراً في باصات الركاب، لأنني أردت التعرف على الحقائق البسيطة. أعتقد أنه ما يهم في أمريكا نيويورك، واشنطن، فيلاديلفيا، بوسطون، وسان فرانسيسكو الثرية بألوانها. لا يوجد أي شيء آخر يثير الاهتمام. نيويورك مدينه متعددة التوجهات وحيث تجد كل ما ترغبه. بوتقة ثقافات وشعوب مختلفة. يُعجبني بها الحركة النشطة. ولكن بعدها خلال تجوالي في الباص لم أعر على شيء مهم سوى سانتا فاي و تاوس والمراكز الثقافية للإنديوس الأمريكيين الصحراويين". لخص نيكولا حينما كنّا ننزل من السيارة.

"أستخلص إذاً أن الحياة هنا في سان نازاريو أفضل من أي مكان آخر. تبدو في هذه البلدة بعض مظاهر البلدات العتيقة، ولهذا تُعجبني الحياة هنا. أنها بلدة أصيلة. يُعبر سكانها عن مشاعرهم بشكل طبيعي ومُبسط. حافظ الأهالي على زبدة القيم الطبيعية للبلد: هنا تشعر براحة". قلت أما نيكولا فقد أكمل:

" أفضل أن تكون بسيطاً، فقيراً، وأصيل من امتلاك قناع يشير إلى الجبروت لكنه يخبئ هشاشة وجود مُخيفه. تصور أن أحداث الـ 11 أيلول أستعمل بها شفرات بسيطة. وسائل تقنية بدائية"

" يقول هذا أيضاً جورجو بوكا: النظام الأمريكي يبدو كعملاق مجروح. فجأةً يغير قناعاته. كل شيء تغير. ليس فقط في أمريكا. بل في كل العالم. أي أننا نعيش في عالم غير آمن!" قلت.

" لم يتجرأ أي عدو لأمريكا أن يهاجمها في عقر دارها. لم تفكر أي جبروت اهانة الأمريكيان بهذا الشكل. ماذا تحوي رؤوس تلك المجموعة من المسلمين لتسبب حرب عالمية؟ هناك أشياء كثيرة في الإسلام نجهلها هنا في الغرب. أعتقد أن في العالم الإسلامي يغلب عنصر الأخوة بين المؤمنين، ما لا نجده بين المسيحيين في الغرب. ماذا تفكر بهذا الموضوع؟" سألني نيكولا.

"لا يتعلق بأخوة تضمن تنفيذ مشروع سياسي، اقتصادي أو سياسي. وفعلاً لم يتحقق أي مشروع مشترك بين دول العالم الإسلامي في التاريخ الحديث. كانت هناك حضارة إسلامية لكن من غير الممكن تطبيع مقاييسها للمعايير الحالية للحضارة الأوروبية، ولا إقرار تناقضها. يرى الغربي في المسلمين تشابهاً في الصفات الاجتماعية، العادات والشخصية. يرون في المسلمين عقيدة واحدة، إيماناً يُكون شخصية واحدة. تتبلور انطباعاتك من هذه العادات ولذلك أنت ترانا كوحدة". قلت لنيكولا.

آخر ساعات العصر، جاء لزيارتي علي: وهو مهاجر مغربي. نشيط جداً في قضايا الأجانب وهو مُسلم ملتزم. قرأ من بعض كتاباتي وعلق بأن نشاطي هذا هو الجهاد الحقيقي وقد أراحني تعليقه.

23. الجنرال لينينا تتبني الفنانين , أيضاً , في زمن الحرب

5 نوفمبر 2001

التقيت اليوم بالصديقة الفنانة ميلينا ميلاني. اسمها معروف لدى الجمهور ومُدرج في موسوعة تريكاني، كذلك في الكثير من المعاجم المُتعلقة بالفن. الصيف الماضي، أصدرت منشورات إس. في ميلانو من جديد روايتها "فتاة إسما جوليو" والتي أثارَت فضيحة قضائية. كتبت الرواية عام 1964 ومنذها طُبعت مرات عديدة، وبلغت عدة ووصلت ملايين القراء. دافع عنها حينها الشاعر أونغاريتي حينما كان المنشور مصادراً. في النهاية أصدرت المحكمة قرارها ببراءة الكاتبة من تهمة التجني على الأخلاق العامة لمحتويات الكتاب. تشكل الرواية حالياً مرجعاً كلاسيكياً تقرأه أيضاً الراهبات.

نتقابل منذ سنوات وهذا بفضل نشاطها الثقافي وله كرسَتْ كل حياتها. رافقت الجاليريست الشهير من فينيتسيا كارلو كارداتسو ومعه دشنتْ بعد الحرب الكبرى الثانية، معرض النافيليو في ميلانو والذي صار مركزاً لتيار السبائسياليزيم - الفضائي - بتأسيس لوتشو فونتانا. كانت ميلانو وقتها عاصمة الفن، وليومنا ما زالت محط أنظار المعارض والنقاد ورائدةً في هذا المضمار. بعد رحيل كارلو كارداتسو استمرت ميلينا بنشاطها الثقافي. تؤمن بثبات وظيفة الفن في الأحداث العالمية، وتعتبره أهم عنصر في العلاقات الاجتماعية. يترك اهتمامها الشغوف بنشر الفن انطباعاً بقيامها بمهمة إنسانية. تنهك فقط بتنظيم المعارض، كتابة المقالات حول الفن، نشر أشعار جديدة، تقديم الفنانين وخاصة تعكف بجدية على مساعدة وإعلاء أصوات الفنانين الجدد.

وُلدت في سافونا لأب ثوري في الربع الأول من القرن العشرين، وكان والدها مغُوباً بالثورة البلشفية لدرجة أنه سمى ابنته لينينا، على اسم قائدها لينين، والذي تحول بعدها زمن الفاشية إلى ميلينا.

هذا المساء توجهت إلى مطعم فيينا في كورتينا، الوحيد تقريباً المفتوح هذه الأيام. كانت الكاتبة تتناول طعام العشاء مع رسام وامرأته. عندما انتبهت إلى دخولي دعنتني لاتخاذ مكان على مآدبتهم.

تعرفت عليها عام 1991، عندما وصلت إلى منطقة الكادوري لعمل مع زميل في عيادته. لم يكن يتلاءم المناخ البارد ولا طقوس السكان لطباعي المتوسطية. لذلك، أعتدت قضاء أوقاتي الحرة في زيارة المعارض الفنية. توجهت مساءً مع صديق من بلدياتي، للمشاركة في افتتاح معرض لوحات لرسمات أمريكية في شرفة كورتينا المسماة اليوم غاليري تشيفيكا. قدمت مديرة الصالة ميلينا، الفنانة التي بدورها تحدثت لاحقاً حول أعمالها، ومن ثم نشطتْ المديرية في إثارة نقاش حيوي مع جمهور الحاضرين مبدعةً جواً ممتع. كانت تلك المرة الأولى التي أتوجه بها لتلك الجاليري. أصغيتُ للنقاش، تفحصتُ الأعمال الفنية، وجوه الفنانين وبعض الحاضرين، ولم يكن يخطر ببالي المشاركة في النقاش. لكن فجأةً، حينما انتبهت ميلينا لوجودي مع بلدياتي قررت التعرف علينا. أدهشها كوننا أجنب وخاصةً من الأرض المقدسة. قدّمت لنا مجاملاتها السخية وحرصت على تعريفنا على قلة جمهور الحاضرين الذين بقوا في القاعة بعد أن فُض الاحتفال. أرادت التعرف على تفاصيل دقيقة عن أحوالنا في إيطاليا وإذا كنا مندمجين في المجتمع. تصرفت بدرجة عالية من التضييف.

توثقت صداقتي مع الكاتبة مع مرور الزمن.

لم أتصعب في إيطاليا تربية الأصدقاء والمعارف، وهذا يعود إلى الخصال العامة الطيبة للإيطالي، وإلى موقعي المهني كطبيب، بيد أنه، اشعر تكراراً عن وجود أفكار مُسبقة في عقلية المواطن المحلي تجاه العرب خاصةً، وهذا ما يشوه ويشترط شكل علاقتي مع الناس. تُجبرني الأفكار المسبقة على بذل الجهد لإقناع الطرف الآخر عكس ما يتصور. أُحجم عن هذه العلاقة لأنها تذبذبية ومُبتذلة.

نُفِّيم ميلينا عكس هذا الشخص وفق تصرفاته، وأسلوب تفكيره. تُحارب الانغلاق الذهني، تُشجع المعرفة المُتبادلة وبتضامن وتواضع تتطوع لإنجاز لغة فنية مشتركة لتقافات مختلفة.

معاً وبفضل مساهمتها نشرتُ بعض الكتب باللغة الايطالية، ونظمت معارضاً قيمه في كورتينا.

العمل مع ميلينا ليس سهلاً لأنها تتصف بخصال متناقضة وطلاسمية. تنتقل من حالة نفسية هادئة ومُسالمة، إلى شخصية هائجة كالزوابع لتبدو مستحيله المنال.

عندما يتقدم فنان إليها بطلب تقديمه فإنها تستقبله باحترام شديد، واعتبار فائق. تعتنى بالعمل الفني المُقترح بجديه وكأنه يخصُّها. تقوم بعد توثيق علاقتها مع الفنان، بقيادة المبادرة الفنية، وبجو أخوي وبتقّة تُقدم الإرشادات والتعاليم، التي تشابه وتتقارب مع أوامر الجنرال، حتى إنجاز النشاط بنجاح.

تُثبت صداقتي مع ميلينا أن لا جيل يُذكر للشعراء. عندما يتفوهون بالحكمة تشعر وكأنهم يملكون قروناً من المعرفة، لكنهم عندما يبتهجون ببيدون كالأطفال.

هذا المساء، عندما كانت ميلينا منهمكة على المأدبة بالحديث مع امرأة الرسام، فتحتُ نقاشاً مع الفنان مُعلماً إياه عن يومياتي هذه.

" هذا مهم ! وعن ماذا تتحدث؟" سأل الرسام.

" إنها تعليقات حول هذه الحرب وحول الإسلام" أجبت.

" أعتقد أنه ليس سهلاً التعامل مع هذا الموضوع خاصةً بعد أحداث 11 أيلول!" قال.

" هذا صحيح. في يومياتي أذكر توضيحات وانطباعاتي عن الإسلام. أشرح قصة طفولتي وتجربتي كمسلم "

توقفت ميلينا في تلك اللحظة حديثها مع السنيورة وبدأت بالاهتمام بنقاشنا.

" كم صفحة كتبت حتى الآن؟" سأل الرسام.

"لقد علّقت على ما ورد في الصحف من مقالات لأومبيرتو إبيكو، جورجيو بوكا، أوريانا فالانشي، إيبوجينيو سكالفاري. كتبت عن تجربتي كمسلم ملتزم".

" من المهم نشر هذا الكتاب في هذه الفترة بالذات لأن الجمهور يريد أن يتعرف على الإسلام" قال الفنان، أما ميلينا فقد توجهت إليّ بالتعليق.

" أترى ترغب نشر كتاب تُعلق به على مقالات الكتاب الذين ذكرتهم؟" سألت.

"لم أفكر بإصدار كتاب!" أجبت.

" إذاً لماذا تعكف على الكتابة؟ أنت شاعر جيد، لكنك لست كاتب حكمة. ومن ثم عليك الحذر في هذا الوقت. عليك أن لا تُعرض نفسك للشكوك التي يمكن أن تؤثر على مكانتك المهنية " قالت ميلينا.

"أجرب أن أسجل انطباعاتي حول الإسلام. حول إسلامي. هذا لا يعني بالضرورة أن أنشر كتاباً، أكتب لنفسي".

"يمكن لكتابك هذه أن تصبح كتاباً صالحاً للنشر. لكن انتبه ! من أجل أن تكون راوي ناجح ، يتطلب منك أشياء أخر عمدا أنت عليه كشاعر. تحتاج للكثير من الوقت. إنك طبيب ناجح ، لماذا لا تهتم بمهنتك؟" نصحت ميلينا.

"ومن قال أن الطبيب لا يتوجب عليه الكتابة. لست راوياً، لكن كل هذه الزوبعة حول ديني قد أثارتنني وأشعر أنه يتوجب عليّ الكتابة، التعبير عن رأيي".
"لقد كتب الكثير عن الإسلام. من سيهتم حسب رأيك وانطباعاتك؟ ومن ثم من أجل نشر مثل هذا الكتاب يجب إيجاد دار نشر مشهورة. إذا حقاً تنوي إيصالنا آرائك عليك الكتابة بوضوح واختصار. يجب أن تحجم عن الطلاسم كما أنت في أشعارك" لاحظت ميلينا.

"إنني فقط في البداية. لا أدري إذا ستتحول هذه الصفحات إلى كتاب" أجبت.
"أحضر لي تلك الصفحات وسأجيبك" أنهت ميلينا النقاش.
هنأني الرسام بعدها، لأنه حسب رأيه، عندما تتصرف ميلينا بتلك الطريقة يعني أنها مقتنعة من الفكرة، وكانت قد قررت الاعتناء ونشر اليوميات.

24. أنجلو باغانين يستبدل الأشعار بالأنتراكس
6 نوفمبر 2001

استلمت هذا الصباح رسالةً من الصديق الشاعر بروفوسور بييترو زوفاتو من ترريستي.

جامعة تريستي
أكاديمية العلوم الجغرافية والتاريخ
2 نوفمبر 2001

عزيزي محاميد

استلمت شظايا الروح, وصلتني كشرارات, اخترقتها وفهمت معاناتك ومأساة شعبك.
أتضرع الله أن يعم السلام لشعوب بلادكم

أواخر الصباح هاتفني شخص وسألني بصوت حذر ومنخفض:
"صباح الخير. هل أتكلم مع الدكتور صلاح محاميد؟"
"نعم"

"يتكلم أنجلو باغانين من لينتياي. هل بعثت حضرتك لي رسالة؟"
"أي نعم. لقد بعثت ل حضرتك إصداري الأخير. لقد أشارت لي بهذا الصديقة المشتركة
ميلينا ميلاني مؤكدة أن حضرتك تهتم بالفن والشعر"

"صحيح. أشكرك. أهتم بشكل خاص بالرسم. أعرض في محلاتي رسومات على
مفارم أزودها للرسامين. أقدم كل فصل عشرين رسام جديد. لقد هاتفنتُ حضرتك لأنني
قبل فتح الظرف أردت التأكد من المحتويات. علينا الحذر هذه الأيام من الظروف
المحتوية أنتراكس. إنني أعيل أطفال و علي الاهتمام بالعائلة". وضح السنيور باغانين.
" طبعاً! لقد أصبت عندما هاتفنتني". قلت وأكملت " لقد قصدتُ دمع ظهر الظرف
باسمي, عنواني وهاتفني. لقد أحجمت في الأوقات الأخيرة المراسلة وخاصة مع اسمي,
في هذا الوقت من الهوس والرعب, أتصور ماذا سيثك مُستلم الرسائل. لكني فكرت
بكسر الحاجز. أفكر أن امتناعي عن مراسلة الأصدقاء الطليان كنت سأحقق أهداف
مسببي الحروب. أشعر بأن المواطن المحلي بدأ التشكك من صداقته مع المهاجرين.
يظهر منه الانغلاق على نفسه، وبالتالي شعرت أنني شخصياً بدأت بالانعزال للوقاية
من مواقف ونظرات التشكك تجاهي. إنه مزعج جداً. أعتقد أنه يتوجب على المواطن
المحلي أن يتوخى الحذر في انتقاء أصدقاءه الأجانب, مع هذا فقد قررت أن أبعث
رسائلي. أمس, على شباك البريد, استغربت الموظفة من كمية الرسائل التي سلمتها
إياها: - إلى أين تتجه كل هذه الرسائل؟ إلى أمريكا, روسيا, الفاتيكان, إسرائيل, روما!-
قالت الموظفة. بصراحة, لقد نصحتني بعض الأصدقاء من بلادي أن أتجنب المراسلة
لتبديد الشكوك حولي، وبالتالي المخاطرة بالتحقيق في موضوعي. لقد قررت أن أهمل
هذه النصيحة, لأن هذا ما يريد أن يحققه شياطين الحرب. يريدون أن يعيش الناس
في وضعية خوف و كراهية مستمرة". شرحتُ للسنيور أنجلو باغانين.

"إنك مُحق. صحيح! يملك الفن والشعر هذه الوظائف: خلق جسور جديدة, فك
الصراعات, والمعرفة. أتشرف بدعوتك لمحلاتي. والتي تسمى بون تايير وتقع على
هضبة لينتياي"

اتفقت مع أنجلو على موعد اللقاء وكونتُ صداقةً جديدة.

25. فيتوريو زوكوني يعيد ربط حبل السره مع أمريكا 7 نوفمبر 2001

هذا المساء جاء لزيارتي صديقي الصحفي جوفاني شانكاليبوري. تحدثنا أكثر من ساعتين حول الحرب, وقد أخبرني أنه حالياً يقرأ القرآن الكريم ويلاحظ أن محتوياته قريبة للإنجيل. افترضنا سوياً أيضاً أن الحرب الحالية نابعة من التناقض في المصالح بين شعوب شمال الكرة الأرضية وجنوبها. يعتقد صديقي أن أسباب هذه الحرب ليست أيديولوجية, ولا اقتصادية أو للتوسع الإقليمي. يتخيل أن أمريكا تحاول اكتساب شيئاً ما, يمتلكه الشرق وينقص أيضاً لدى الحضارة الغربية.

"الروح الحرة والمستقلة من أي شرط مادي والمبنية من خلال الإيمان العميق" أجبت بسرعة واستمرت "المسيحية والتي وُلدت في الشرق. تلك الشرائع التي تشكل النقيض لجمود مادية الحضارة الرومانية. بعد صراعات شديدة بين الرومان والمسيحيين, قام الرومان بإدراج تعاليم المسيح في هيكل الحضارة الأوروبية, لدرجة أن الغرب يصف نفسه بالمسيحي محدداً نقطة اختلافه مع الشرق المسلم. تنقص أمريكا

الإيمان والقناعة. أن تعيش مشاعرها وأحداثها باقتناع, دون الحاجة للتكيل بالآخرين وضرورة إزعاجهم. أن تعيش بسلام مع نفسها. أن تكفي بما هي. هذا ما ينقص أمريكا.

يشكل سكانها أولئك الأبناء الفارين من بلادهم, أولئك الأبناء الأنكباء. أولئك الذين هجروا أمهاتهم, لفظوا واجتثوا جذورهم الثقافية للبحث عن الجديد, الثراء والهناء. حينما حققوا هذه الأهداف, اكتشفوا أن سلامهم الداخلي لا يمكن أن يتحقق عن طريق القوة الاقتصادية والعسكرية, يشعرون بنقص شيء ما. يشعرون بأنهم قطعوا حبل السره مع أوروبا دون رجعه, تلك الأم - الأرض الواقعة خلف المحيطات, البوصلة الأصلية التي يمكن أن ترضى عن شكل وجودهم: أوروبا والتي ستتحد بعد بضعة أشهر حول عملة واحدة, أوروبا والتي ستصير قوية, وستستطيع تحدي ذلك الابن والذي قبل نصف قرن كان يتباهى بتفوقه العسكري, التكنولوجي على أمه. أوروبا المدمرة بعد الحرب الكبرى الثانية تستقبل المساعدة, برنامج مارشال من ابنها. لكن هذا لم يكن يكفي, فعلى تلك الأم توجب الانصياع للأسلوب الأمريكي, للابن الضال ثقافياً. عليها أن ترضى عليه, أن تُطري عليه وتعطيه دائماً الحق". أجبت صديقي الصحفي ودعوته لقراءة مقالاً لفيتوريو زوكوني, نشرته اليوم صحيفة ال"ريبوبليكا" تحت عنوان: "ماذا بعد؟"

ماذا على أوروبا أن تفعل بعد لإرضاء أمريكا؟ أين ستقوم الحرب القادمة؟ ماذا على أوروبا أن تفعل لابنها الذكي, الضال ثقافياً؟ هكذا استوعبت مقال زوكوني.

ينفي المحلل فيتوريو زوكوني, كصديقي الصحفي, ضيفي هذا المساء الأسباب الاقتصادية أو التوسع الإقليمي أو الأيديولوجي كعوامل للحرب. بعد أن لاحظ في مقاله موافقة العالم بكامله والمساهمة المباشرة لبلاد كثيرة في العملية الحربية ضد أفغانستان, يوجه الكاتب سؤالاً لأمريكا: "نحن على متن سفينتك أيها الكابتن, لكن إلى أين نبحر؟ ماذا بعد في برامجك؟".

لم أنفذ الخدمة العسكرية, لأن الفلسطينيين الذين يعيشون في إسرائيل لا يقوموا به وفقاً لقرار دافيد بن غوريون, والذي لم يثق بهم, فحررهم من هذه الخدمة, لئلا ينشأ طابور خامس داخل التساهل*. بيد أنني أتخيل أن أي جندي في أي فرقة عسكرية لا يستطيع تقرير مسار الحرب أو معارضة قرار القائد. في هذه الحالة يخاطر المتمرد بمصير حياته, على الأقل, هكذا رأيت ما يحدث في الأفلام. الموت هو الذي يقلق أوروبا الأم.

يظهر زوكوني, وهو يمثل ضمير أوروبا, في مقاله محترماً, ويميل بكل الأحوال وبأي ثمن تبرير تصرفات الإبن الضال. ومع أنه مستسلماً فإنه بحق يوجه سؤالاً للكابتن, على الأقل لإدراك أي فوضى على أوروبا أن تواجه في المستقبل بسبب تدمر الابن. يقع تساؤله في محله لأن الكاتب يخشى الموت في المعركة القادمة. أي أم تخشى الموت بسبب الحرب أو بسبب شيطانية ابنها تكون غير واثقة بدورها. ولهذا فإن أيوجينيو سكالفاري كان قد كتب مُعبراً عن قلقه بموت أوروبا ومشيراً بأن على أمريكا

أن تصبح أكثر أوروبية، كما تأمرت أوروبا في العقود الأخيرة. أعتقد بأن هذا هو الحل الحقيقي لاحتواء تعاسة الابن الضال.

علينا التفكير بتلك الغريزة، الحوافز وهوس الملاحقة والتلاشي، بتلك الحالة النفسية التي رافقت أولئك النازحين والهاربين من العالم لمواجهة المجهول، في البحث عن الثراء والمغامرة. لديهم آلاف الأسباب للشعور بالفراغ الداخلي. لقد أضطر هؤلاء أن يجتثوا جذورهم ويقطعوا أوصالهم ليستطيعوا أن يستمروا بالحياة. اضطروا أن يخلقوا شكلاً وجودياً جديداً، ذكياً ومن خلاله يستطيعون أن يعيشوا بانقطاع كامل عن أهم خلف المحيطات. لقد طور الأمريكان شكلاً وجودياً ثورياً جديداً والذي يثير التفاؤل، الثقة والأمل ولهذا فإننا على الأرض نشعر بارتباطنا معهم وبحاجه إليهم. يتوجب إعادة ربط حبل السره بين العالم وأمريكا الشابّة، المراهقة، ليتسنى تبادل استقبال تجديديات الابن الضال الذكي، وتغذيته بتلك الجذور الحضارية والإنسانية، للقارة الشائخة لموازنة مشاعر القلق، الركافة، الحساسية والنرفزة للثقافة الأمريكية، المُعتبرة في منظور التاريخ رضيعه. ولهذا يتحتم وجود أم واثقة من نفسها، ثقافة متماسكة للقارة الشائخة والتي يتوجب عليها الامتناع عن تبرير تخبطات والرغبات الحربية لدى أمريكا، مستمدة تلك الثقة والتماسك من تجربتها العسكرية والعدوانية في القرن الماضي.

26. أولغا روساكوفا وإرنيسو تريكاني يُحوّلوا الشيخ الى المسيحيه
8 نوفمبر 2001

في شهر حزيران 1993 كنت قد كتبت مقالاً عن زيارتي لموسكو حيث تعرفت على الرسامه أولغا روساكوفا سنتين قبلها.

أعتلي قطار مُنمق بمطرفةٍ ومنجل في فينيتسيا لأسافر لأكثر من يومين، من مدينة لأخرى، من محطة لأخرى كنت أقابل مسافرين متنوعي الألوان. كان يراود

الكابينة ركاب مختلفين ومع أني لا أنطق لغتهم , كانت الكثير من أحاسيسي تنطلق حرة في التعبير. في ذلك القطار تمتعت بضيافة فريده.

كانت موسكو تخبئ تحت ضباب رمادي, شوارع عريضه, منتزهات وساحات واسعه, عمارات شاهقه تشهد كبرياء, عظمة وعملانية فترة ما.

كان الرفاق يستهلكون آخر نقاشات لآلية فكريه معينه. ناس هادئه تجول في الحدائق العامه, تنتظر في طوابير طويله أمام مدخل المسرح.

شباب عشاق يقضون ليالٍ جميله على شاطئ الفولغا. نهر من البشر يتدفق في أنفقه المترو بحثاً عن قضاء جهد مُضني. مؤسسات كامله للحزب تتحول الى شركات تجاريه, إستيراد وتصدير. توجب على روسيا أن تصير رأسماليه.

نقاشات بين فنانيين ومتسوقين كانت تدفئ شارع أرباط الشهير . فنانون شباب يبيعون أعمالهم الفنيه مقابل القليل من الدولارات. بسمات منطفئه على ثغر الفتيات . عيون الفنانين تشع شرراً . مهارة حركيه وفي الكلام لباعة أغراض صغيره ممنوعه, ومن ثم نقاشات عاليه ومعقده حول غورباتشوف, بريجنيف, إيلستيين, الديموقراطيه والدكتاتوريه.

بالمصادفه تعرفت على أولغا روساكوفا في مخبرها الفني الواقع في الطابق العلوي للمدرسه الحزبيه العالميه للحزب الشيوعي في موسكو. تحدثنا عن الكثير من الأشياء: عن الحياة في إيطاليا, الشيوعيه, الرأسماليه , القوميه, العنصريه...يه..يه..يه. خشخشة, صفير يزعج السمع.

تحدثنا عن الأسوار المبنيه بين البشر بسبب التطرف الفكري . فكرت بكوني , فلسطيني في إسرائيل, عربي في أوروبا, مسلم في مجتمع مسيحي.

فجأة , جمّدت اللوحات المُعلقه , الأعمال الفنيه المُبعثره , أي فكره. حبست كل الكلمات.

خطوط, دوائر ونقاط على القماش . ألوان أولغا تُصمّت الكلام القسري, أي فكرة مُبرمجه والجمال المُؤطره.

فجأة , فتحت ريشة أولغا في ذهني أبواب عالم من الأحاسيس الصافيه, تلقائيه وحقيقيه.

نعيش في لوحاتها محيط من المشاعر حيث لا مكان للبؤس, للجدالات القيمه وللأيديولوجيات.

تُعبّر ريشتها عن عالم دون صراعات وحيث تنهار الحدود.

بعد زيارتي القصيره لموسكو عُدت لإيطاليا. كانت وسائل الإعلام تنقل أحداث موسكو: الخوف من العوده الى النظام القديم, الخوف من إنتقال الصراعات العريقيه من الإتحاد السوفييتي الى أوروبا الغربيه, مصير الأسلحه النوويه, نشوة التهافت لتقسيم حدود دول العالم من جديد.

تغيرت الكثير من القناعات, أختفت نقاشات عديده , صممت أصوات, بدّل أشخاص كثيرين طرق تفكيرهم وأسلوب حياتهم.

بالمصادفه , وجدت نفسي في منطقة الكادوري. فجأة نظرت إلى الجبال وهذه تنظر الينا منذ الأزل.

تعانق الغيوم قمم الجبال, لون السماء السحري عند الغروب, الشتاء يهدي ثوب العروس كمهرٍ للجبال, صفير الريح. تجري المياه دون كلل , ألوان الأزهار وغناء العصافير التي لا تمُل.

ومن جديد أمام شجاعة إستيقاظ حلم, ينهار كل لغط حول الصراعات العريقيه والمستنقعات الفكريه. من جديد سمحت لنفسي بإقحام الحلم وفكرت أنه من المُنصف أن ترى أولغا هذه المناطق.

دعت جمعية الزيتون أولغا روساكوفا لإيطاليا لإقامة عرض فني وقد تركت لي كهديه هذه اللوحة التي وجدتها مُعلّقه بالمقلوب .

لوحة

"هذا أنا". تراني الرسامه الروسيه كمسيحي.
إرنيستو تريكاني , أيضاً, رأى من خلال سربيتي شظايا الروح , المسيح المصلوب
وهو يحمل آلام البشر.

لوحة

كلاهما شيوخ عيون صافون , لكنني كنت شيوخاً شيخاً.
أؤمن أنه على إحساس الأشياء, الأحداث علينا أن نناقش. حول طريقة رؤية المحيط
علينا أن نقارن وليس فقط حول التعبير وبشكل أحادي الجانب.
هل توجب علي, تُرى , إرجاع اللوحات -الهدايا الى عنوان باعثها لأن الفنانين
كانوا قد رأوني , رغم وضوح دلالات إسمي, بأني مسيحي.
يمكنني إعتبار رؤيتي كمسيحي شكلاً فقدان ماهية كوني مسلماً لأن التعبيرات تجر الى
إفقادي معالم شخصيتي.
لا, أنا لم أفعل ذلك, لم أرجع الهدايا لأصحابها ذلك أنني أقدر الفنانين وأثق برسائل
اللوحة وخاصةً لأن إسلامي لا يسمح لي بهذا.
"إنما الأعمال بالنيات" يقول حديث شريف وكذلك, لأنه " لكل لإمرء ما نوى "

27. يعيش المستر بيبى والذي من معلم صار رئيس بلديه ثم برلماني شيوعي ثم
رئيس حزب ديني ثم عضو لجنة في البرلمان الإسرائيلي
9 نوفمبر 2001

يتصعب على الإستمرار في كتابة هذه اليوميات. 14 أكتوبر الماضي , حين بدأت,
كنت قد قررت أن أخصص لكتابي هذا شهراً للعرض على القارئ بعض المفاهيم
الحيويه حول الإسلام, وطرح ملاحظاتي حول ما تعرضه وسائل الإعلام.
قرأت , هذا المساء, بعض المقاطع المكتوبه في البدايه وأمتلكني الإنطباع بعدم
جدوى جهدي هذا حيث أن أمور الحرب تتطور بشكل سريع وطردي وأفكار شهر

مضى صارت دون معنى ولأن الحرب أصبحت واقعاً وتقرر من قبل قمم حربيه وسياسيه وملاحظات الشارع, الشعريه والثقافيه غير مُعتبره.
غير أنه كنت قد حدّدت تاريخاً لإنهاء يومياتي وأومن بأن الكلمه-النقاش يجب أن يحسما في أي خلاف, وأن سفينة الثقافه والمعرفه المُتبادلّه تجرني خلفها. نقول لدينا "من يركب البحر لا يخشى الغرق". أستمر بالكتابه بغير إرادته, لأنه بإرادتي أو بعدمها سفينة الحرب مستمره كذلك ستمخر سفينة الثقافه.
وصلتني اليوم صحيفه "نداء الوحده" لسان حال جبهة الوحده الوطنيه والمتمثله في البرلمان الإسرائيلي بأربع أعضاء من بين مائه وعشرين عضو برئاسة أحد أقربائي النائب هاشم محاميد, والذي كنا نسميه, أنا وزملائي صغاراً, مستر بيبي. خصص المُلحق الثقافى نصف صفحه لسرّيتي " شظايا الروح". لقد نشر رئيس التحرير الأستاذ أسامه الدكتور, غلاف الديوان ونقد حول العمل الشعري, نتاج مقابله هاتقيه. يُنكى رئيس التحرير بلقب الدكتور لأن أبيه عام 1948 كان من بين القلائل الذين تخرجوا في الثانويه وكان ينوي إستمرار دراسته الجامعيه في لبنان في كلية الطب, وبسبب الحرب لم يستطع تحقيق حلمه وعانى حينها من مشكله إحباط. ومنذها يقوم الأهالي, من أجل مؤازرته نفسياً, بتسميته الدكتور. تهتم الصحف العربيّه بالأشعار وتخصّص لها مساحات جيده وخاصةً تلك المنشوره بلغات أجنبيّه.

لقد أخبرت هذا صديقتي ميلينا ميلاني مديرة منشورات الزيتونه حيث صدر الديوان. يُسعدّها كثيراً بأن أخبارنا الأدبيه تُنشر في الخارج وخاصةً لدينا في الأرض المقدسه.

يُظهر نفس السعاده فنانون كثار. أشعر بروحهم الفرحه وبسعادتهم حينما يشاهدون صورهم منشوره في صحفنا ومُحاطه بكتابه عربيّه.
"ماذا مكتوب في النص؟ ترجم لي فضلك" يسرعون بطلبهم مني. يشعرون بإرياح عميق حينما يُنشروا في صحفنا وبسعاده تختلف عن تلك التي تظهر عليهم حينما أكتب عنهم بالإيطاليه. يريد الفنانون أن يكونوا عالميين, وحينما ينشروا بالعربيّه فأنهم يشعروا بأنهم تحطوا حواجز وصراعات أزلية.
تقوم الكاتبه ميلينا ميلاني بتعريفي على أصدقائها الفنانيين خلال اللقاءات الفنيه في كورتينا بالشاعر, وتضيف بعدها بأني أكتب مقالات لصحف عربيّه وهذا دائماً يُعري الفنان.

القريب هاشم محاميد, عندما كنت صغيراً, كان يعلم في مدرسة حارتنا اللغه الإنجليزيه. كان المعلم الوحيد في المدرسه والذي يحمل إسم العائله محاميد. في بلدتنا أربع حارات وحتى سنوات الستين كان في كل حاره مدرسه وطاقم مدرسة حارتنا كانوا يأتون من الحارات الأخرى ومن البلدات المجاوره.
المحاميد يملكون خصال الأحرار المتمردين ولم يهتموا بأن يكونوا موظفي دوله وأجبرين لاسرائيل. في بداية الستينات كانت قد أنتقلت مدرسة الجبارين الى جوار مدرسة حارتنا, وهكذا فان طلاب الجبارين والطاقم المدرسي كان يفترض عليهم أن يمروا بشوارع حيتنا كل يوم.

في تلك السنه أجتمع جاهة الحارتين وأنفقوا أن يضغطوا على الممثل الحكومي لإدخال هاشم في الطاقم الدراسي دون أن يتنازل عن مبادئه وبشرط أن يختار تعليم ماده التي تعجبه. أختار هاشم تعليم اللغه الانجليزيه وهذا يتوافق مع روح المحاميد: يحب التجديد, يملك إرادته حره, مُنفتح على المعرفه, مُبحر في الفكر والعصرنه ولا يخشى التحديث والمغامره, حيث أنه كان قد قام بضجّه إعلاميه في بداية الستينات حينما تزوج من فتاة دانماركيه والتي تعرّف عليها خلال دراسته

الجامعيه. كان من بين أوائل المسلمين في بلادنا والذي يكسر طوقاً بتزوجه مسيحيه أوروبيه.

في المدرسه كان هاشم يمتاز عن باقي المدرسين , لم يحافظ أبداً على عصا في حقييته لمعاقبة الطلاب, لم يكن عصبياً, لم يكن تكرارياً خلال دروسه. كان يُدع نقاشات يشارك بها كل طلاب الصف. كان يجعل دروسه شيقه وجميله. أعتاد أن يدعو الطلاب المتفوقين, وكنت بينهم, الى بيته خلال العطله الأسبوعيه ليناقتهم وكان يتصرف كصديق لطلابيه, وهكذا كنا قد سميناه بيننا , تحبباً, مستر بيبي. مرة, وصّانا الأستاذ التحضير في البيت , كيف قول الساعه بالإنجليزيه وقد نفذت طلبه. في الدرس اللاحق كان قد أخرج من حقييته ساعه خشبيه مع عقارب قابله للتحريك. قسّم الصف الى أربع فرق وأقام مبارزة بينها. كان يُثبت العقارب علساعه معينه, يُمهّل الفرقه دقيقه للتشاور حول الإجابه, خلالها يجتمع الطلاب فيما بينهم كما يحدث في لعبة البيسبول. بعد إنتهاء دقيقه التشاور يعلن الأستاذ بحزم: "ستوب" ومن الفرقه كان يبحث عن الطالب الأقل فطنه وشطاره ويدعوه للإجابه. كان يستعمل هذه الطريقه لحث المُجتهدين على مؤازرة الضعفاء. في فرقتي كان هناك طالبين مغفلين وكان الأستاذ يدعوهم دائماً للإجابه وأحياناً كثيره أخطأوا وعرضوا فرقتنا للخساره.

في آخر دور في المبارزه, ثبتت الأستاذ عقارب الساعه على الثانيع عشره الأ ربع , وكنت متوكداً أنه من المستحيل تعليم الطلاب الضعفاء الإجابه , ولهذا عندما أجمعنا للإستشاره, قلت للمجموعه: " عندما يقول الأستاذ ستوب -, إرفعوا كلكم أياديكم وليطالب كل منكم بإلحاح علنا للإجابه". وفعلاً , بعد أن أعلن الأستاذ ستوب رفع جميع أعضاء فرقتنا كلا أيديهم , صارخين " أنا, أنا, أنا" أما أنا فقد طأطأت رأسي مختفياً وراء الزميل الذي يجلس أمامي وسحسلت جسمي عن الكرسي. تفاجأ الأستاذ من صراخ الطلاب وإستعدادهم, ومن رؤيته لغابه الأيدي المرفوعه, وبعد أن دقق النظر في الفرقه كان قد أكتشفني مختبأ خلف زميلي, وبصوت جهوري ومنتصر أشار لي وقال: " أنت , أجب على السؤال!" وبسرعة البرق أجبته بدقه, أما الأستاذ فقد أعقب ضاحكاً: " لقد خدعتني , لكن فرقتكم هي الفائزه". في نهاية السبعينيات كان هاشم محاميد قد رُشح من قبل الحزب الشيوعي لرئاسة البلديه ونجح. في الثمانينات صار برلمانياً مندوباً عن الحزب الشيوعي. خلال دوره الأخيره , كان قد أفتع جزءاً كبيراً من المتدينين والذين لم يكونوا يشاركون في النشاط البرلماني , لخوض المعركه الإنتخابيه, وحالياً يترأس أكبر حزب عربي مُمثل في الكنيسيت. بفضل إنفتاحه , تضاعف تمثيل العرب في البرلمان الإسرائيلي, ويكون العربي الوحيد , الذي لا يتمشى مع السياسه الإسرائيلييه , عضواً في اللجنه البرلمانيه للخارج والأمن.

28.أمي , حربيه الزيتاوي , تريد للشيخ أن يتزوج إيطاليه تلبس الحجاب
10نوفمبر 2001

اليوم هاتفني أهلي وقبل أي أحد تكلمت مع أمي , إسمها حربيه. لقد سمى جدي من أمي خالتي الوحيده والتي تصغر أمي سنا, نديه.

" هالو حاجه, كيف الحال؟" سألتُ , وأجابتنى أمي وهي تضحك فرحةً .
"حالي؟ وماذا تتوقع من حالي في جيلي , وأنت كيف صحتك؟".
عندما أتكلم مع أمي أناديها بالحاجه وهو لقب تبجيل تُكنى به من تقوم بأداء فريضة الحج. هكذا كان يناديها أبي رحمه الله وأمي تفرح عندما أناديها بهذا وهي تبادلني اللقب وتناديني بالحاج.
"صحتي؟ جيده جداً. إني معافى كالسمكه. أركب الخيل وأترلج".
"خذ حذرك. لقد وقعت السنه الماضيه وأصبت بألم بالترلج. وركوب الخيل خطير".
"أي نعم. بتفكري أن أبو جميل أشطر مني".
أبو جميل إسم جدي لأمي . كان خيلاً وهو من القلائل من جيله الذي حافظ على حصان . الخال جميل , أيضاً, إبنه البكر ما زال يحافظ على هذه العاده. تُسعد أمي عندما تسمعي أسمى أباها بكنيته , أما أختي فيسمون جدي بسيدي محمد.
" هذا لا يعني شيئاً . أنت تعيش في بلد أجنبي . من سيعنتي بك إذا تضررت. ومن ثم عليك أن تنتهي هذه القصة! متى سترجع الى البيت , لقد مرّت عشر سنوات دون أن أراك! ولماذا لا تتزوج؟" قالت أمي.
"الغايب عذره معاه - يقول المثل ومن ثم من حين لآخر أُغيّر خطيبه".
"توقف عن المزح الآن. أريدك أن تتزوج بالحلال, حسب الشريعة".
"ماذا يعني هذا؟ بتفكري إنه أبو جميل أشطر مني . حدثتيني مرّة أنه بعد سفره طويله , رجع الى البيت برفقة شابه قد تزوجها وأنها بقيت لديه فقط شهرين. على كل حال إقيلي عروس , والله بدبرها لِمَا أرجع" قلت وكانت أمي تضحك.
"مع كل تلك النساء التي تعرفها في إيطاليا تريدين أن أجد لك أنا عروس من هنا. تزوج إيطاليه"
"أريد أن أتزوج إمراه تلبس الحجاب. هنا النساء لا تستعمله. أي مصير سأواجه إذا تزوجت امرأة مكشوفة الشعر والساقين؟"
"دعك من المزح الآن. كل نساء الأرض بنات حوى . أخوك صبيح تزوج بلغاريه وهم سعداء ومانشاء الله عليهم. أريد أن أراك وقد حققت مستقبلك . مع زوجه وأطفال لك. لا يهم أن تلبس الحجاب أو لا . إذا أردت التزوج من بلدياتك عليك الرجوع . هنا الكثير من الخريجات الجامعيات مثلك, عصريات, يكتنن ويتفنن. يمكنها أن تعيش معك في إيطاليا. على فكره ! هل أنهيت العمل في بيتك؟"
" نعم لقد أضفت حمأماً . هكذا , عندما تأتي العروس ستتحمم براحه" قلت , ضحكت أمي وقالت:
"الله يحميك من الحساد. إذا أردت أن تتزوج فقط إمراه تلبس الحجاب , تزوج إيطاليه وإذا كانت تحبك ستلبس الحجاب , البوركا , ما شئت"
"لا قطعياً , هنا لا تستعمل النساء الحجاب . لا يدركوا أهميته. أريد عروساً تلبس الحجاب منذ صغرها . أن لا تتكلم بفوضى وتثرثر. أن تخاطب محيطها من الناس فقط بعيونها , لأن الفتيات التي تلبس الحجاب يعرّين, يدغدغن ويصعقن الرجال, وخاصة ذوي الشوارب الغليظه , فقط بالأنظره. أتريدين مني أن أتزوج إمراه تلبس الحجاب وفي الوقت نفسه تنوره قصيره؟"
" أترك هذا الموضوع من فضلك . أودعك . تكلم مع أخيك , الحاج "
الحاج تيسير هو الثاني من بين أختي العشره, وقد أدى فريضة الحج: أحد أركان الإسلام الخمس: الشهاده, الصلاه, الصيام, الزكاه هي الأربعه الباقيه.
هناني أخي على المقال الأخير الذي نُشر عني في الصحفيه وخاصة لأنها تمثل أفكاره.

تيسير هو الأخ الوحيد الذي يقوم بالشعائر الدينية من بيت أخوتي . لقد أصبح متديناً , بضعة أشهر , بعد زواجه .
عندما كان أعزباً كان محط أنظار الفتيات . كان يحافظ على جسم رياضي أنيق . يتبع الموضه في لباسه , يمشط شعره الأملس والكثيف كتسريحة المغني المصري عبد الحليم حافظ . كان عريس الحي .
مرة أحبّ قريبة لي والتي كانت تسكن في نابلس والموجوده في الضفه الغربيه .
أعتادت أن تزورنا خلال العطل المدرسيه , لأنها عملت كمدرسه . كانت قد طلبت يد القريبه لأخي , ولكن بما أن أهلها كانوا قد رتبوا زواجاً مع زميل لها , رُفض الطلب . لهذا حوّل تيسير حياة زوج المستقبل الى جحيم باعثاً له تكراراً رسائل تهديديه , مما أضطر الى عقد خطبه فوريه بين الأستاذ وأقريبه والسفر الى العربيه السعوديه , معلماً بأنه تعذر على أخي الوصول هناك بكونه مواطن إسرائيل .
أحد العصور , ظهر من تيسير الهيجان والغرابه في تصرفاته . حضر الشاي مع الشومر وشربناه سوية . أراد ذلك اليوم أن يُثبت لي بأنه يحبني وعليّ أن لا أقلق من شيء . بعد أن حضنتني وقبلني بعطف غادر البيت . تلك الليله لم يرجع .
بعد بضعة أيام , خبر أحد أفراد الشرطه أبي أن حرس الحدود الإسرائيليّ كانوا قد أوقفوا أخي على ضفة نهر الأردن عندما كان يحاول العبور للضفة الأخرى للوصول للبلد المجاور , كما كان يفعل بعض شبابنا للإلتحاق بالفرق العسكريه لمحاربة إسرائيل . إدراكاً من العاشق أن القريبه كانت ما زالت فقط خاطبه , أراد الوصول اليها في العربيه السعوديه عن طريق الأردن .
خلال المحاكمه , لم يوكل والدي محامي دفاع , لكنه أصطحبنا كلنا الى قاعة المحكمه .

أما الجنود , حرس الحدود , الذين أوقفوا أخي فقد شهدوا بأن أَلتمهم عند توقيفه لم يكن مرتكباً ولم يُظهر مقاومه أو عدائيه : كان واضحاً ويردد أنهم عليهم تركه لعبور النهر لأن تصرفه هذا لا يخص ولن يضر إسرائيل .
أما أبي فقد أنتدب نفسه الدفاع عن ابنه مُنوهاً أن تصرفه هذا كان فقط مغامره عاطفيه , أن على الحاكم إطلاق سراحه ليرجع مع إخوته الى البيت وإلا كنا لن نغادر ونحتل بناية العدل , مُحدثين فضيحه سياسيه وصحفيه .
أعتبر الحاكم إدعاءات الوالد كظروف مُخفّفه وحكم عليه بالسجن فقط شتة أشهر .
بعد خروجه من السجن , أعجب تيسير بخضره ابنه ماريه . هكذا تُسمى لأنها فقدت والدها في جيل مبكر , وإعاشة العائله , أضطرت أمها , كما يقولون لدينا , أن تعمل عن اربع رجال . لا يتبع , حسب تقاليدنا , إسم الأم لإسم الابن , لكن عندما تقوم الأم بإعالة العائله , إحتراماً , يُذكر إسمها .
أعتبر النظام , الدقه , الصرامه , الأمانه , الثبات والجديه القيم المُتبع عليها في بيت السيده ماريه للمحافظه على الإحترام الذي تمتع به زوجها الراحل . كانت تتوجه كل فجر فوق الحماره الى حقول اللوز , التين , الزيتون والجرنك . تميزت أشجارها , عن الحقول المجاوره , بلونها الأخضر المنتعش بفضل العناية المكثفه . خلال العصر كانت تعمل كخياطه في بيتها . تُحضر الفلافل لبيعه على المازّه وخلال رمضان الحلويات . كانت تمقت التضجر والبلاده . نشطه , مرتفعة الجبين , قويه كالرجال وبالتمام تقيم بالشعائر الدينيه . ورثت إبنتها خضره هذه الصفات .
كان أخي تيسير علمانياً فترة العزوبه وعندما خطب تخيل أنه سيستطيع أن يُغير عقليه خطيبته ويجذبها الى أفكاره . ظهر من خضره السعاده للعيش في كنف عائلتي والتي تملك توجهاً منفتحاً . بيد أنه , بعد أشهر قليله من الزواج بدأ الشعر يحتل وجه

أخي وهكذا كان قد ربّي ذقنه, ومن حينها, بدأ يطبق تعاليم الشريعة دون الحياذ قيد أنمله عن أي منها وقد أدى فريضة الحج. لم يُنجز أبي هذا الركن من الإسلام. تعفى الشريعة من أدائه من لم يستطع اليه سبيلاً.

بدأت السلطات الإسرائيلية بتقديم تصاريح للمسلمين الفلسطينيين في إسرائيل للسفر الى العربية السعودية فقط في بداية الثمانينات . رفض أبي طلب التصريح من إسرائيل ولذلك لم يفكر بأداء الفريضة. لكنه في وصيته أوصى ورثته, نحن أبناءه, بالقيام بهذا عنه عند قدرتنا , حتى أنه كان قد وقّع وصيته مسبقاً إسمه بالحاج. الحج هو طقس يفترض أن يقوم به المسلم مرةً واحدة في حياته, ويكمن بزيارة مكة , مسقط رأس الرسول صلعم والمدينه حيث ووري الثرى. ويتزامن في شهر ذي الحجة حسب التوقيت القمري, ينتهي بالإحتفال بالعيد الكبير لإحياء ذكرى تضحية سيدنا إبراهيم عليه السلام.

حسب الإسلام , طلب الله عز وجل من سيدنا إبراهيم بتضحية ابنه إسماعيل عليه السلام على جبل عرفات المتواجد في شبه الجزيرة العربية. يقوم الحجاج بطقس سنتنا هاجر , أم إسماعيل وهو أب العرب, وذلك بالهرولة ذهاباً وإياباً سبع مرات بين جبال الصفا والمروه. يقص التاريخ أن سنتنا هاجر قطعت المسافه سبع مرات بين الموقعين بحثاً عن الماء لإسقاء ابنها آنذاك , حتى نادها الملاك جبرائيل وقد وجدت المياه تتدفق بين قدمي الإبن , عليه السلام ومنذها يُسمى الموقع بئر زمزم. يقوم الحجاج بالدوران , مهللين, سبع مرات, حول الكعبه, الحجر الأسود حيث بنا سيدنا إبراهيم مع ابنه إسماعيل عليهما السلام أول مسجد في التاريخ. يتزامن الحج خلال الشهر القمري , لكن من يريد , يستطيع إقامة الطقس باقي أيام السنه, وهذا الطقس يُدعى العمره.

29. الشيخ يزور الغابه الحمراء الواقعه على جبال القدس ويسد غُلبه منتصراً في مبارزه في بيت أبو العجول الواقع في قلب حارة المحاميد
11نوفمبر 2001

هاتفني هذا الصباح الكاتب أنطونيو كيايس ودعاني أن أكون ضيفاً في لقاء بعنوان "شاعر مسلم في الكادوري" لجمعية الروتاري التي يترأسها.

بينما كنت مستلقياً على التخت الخشبي في الساونا في المركز الرياضي , تذكرت حلمي لليله الماضيه. ربطته بمقال قرأته في صحيفة نداء الوحده:"البرلماني هاشم محاميد يشترك بإحياء ذكرى الشهيد أبو علي مصطفى, سكرتير الجبهه الديمقراطيه في فلسطين", قتله قبل شهرين صاروخ إسرائيلي. يذكر الصحفي , في نهاية المقال

، أن البرلماني كان مُرافقاً بأبي زاهر ، وهذا رجلٌ قوي القوام ويسكن في حارة الجبارين.

كان كلا الرجلان ، في نهاية السبعينيات، نشيطين في الحزب الشيوعي. كما كان كذلك أبي.

يحتفل الشيوعيون ، يهوداً وعرباً، كل سنة بذكرى الإنتصار على النازيه ، خلال شهر أيار . أختار الحزب ، لهذا اللقاء، أحد الجبال الواقعة على أبواب القدس ودشنوه بإسم الغابه الحمراء. أعتدتُ المشاركة في هذه الجوله بين أحضان الطبيعه سنوياً على جبال المدينه المقدسه، كما أعتاد أن يفعل أبو زاهر ، مرافق ألبيرلmani. حلمتُ الليله الماضيه بالغابه الحمراء عندما كنت أبلغ من العمر سبعة عشر سنه. كان الرفيق أبو تيسير والذي يتشابه جسمه مع جسم أبو زاهر يوزع ، في نادي الحزب، الصور التي ألتقطها أسبوعاً خلا في الغابه الحمراء. كان قد ألتقط أبو تيسير، دون علم مني، صورةً لي حينما كنت جالساً على صخرهٍ وأتأمل بألفضاء. طلبت من أبو تيسير أن يعطيني الصوره، لكن الرفيق أخبرني بصراحه أنه يريد المحافظه عليها. تلك الصوره، كما أدعى ، ستمكنه يوماً ما، إن صرت شهيراً ، أن يقول: " هل ترى؟ كنت أتوقع أنك ستصير شخصيه مرموقه، حينها سأعطيك أيضاً عيوني".

كنت قد رجعت الى البيت بعد إنهائي السنه الدراسيّه الأولى في إيطاليا لقضاء العطله الصيفيه.

أخبرني والدي ، يوماً ما في ذلك الصيف، أننا مدعون لتناول طعام العشاء في بيت أبو العجول، يُسمى هكذا لأنه كان له حظيرة عجول. كان يدير دكانه وملحمته ومنهمكاً بالتجاره. تلك الفتره كان عمّي يُخطط لإقامة مصنع مع أبو العجول وتوجب علينا خلال حفلة العشاء قراءة الفاتحه للمباركه بالمشروع. نظمَ التاجر اللقاء داعياً للعشاء أيضاً نسيبه أبو عمر ، وهو قريب لعائلتي. كنت أستنكر تلك المشاركه لكن أمي كانت قد أقتعتني بالإستجابه لأن وجودي هناك سيسمح لعمي بعنقره عقاله إعتزازاً بي.

كان أبو عمر مُطبقاً دقيقاً لتعاليم الإسلام ويحثُ الناس على ذلك ويكونه قريباً مشتركاً للجهتين توجب عليه أن يشهد ويحكم على الإتفاق ولهذا كان قد خُصص له للجلوس في صدر الديوان.

دعاني أبو العجول للجلوس في ديوانه الواسع قبالة أبو عمر عليأحدى الفرشات التي شكلتُ دائره . شارك في العشاء فقط الذكور بجيل فوق العشرين سنه وكنت أصغر المدعويين.

بعد تناول وجبة عشاء دسمه ومتعدده أطيب أنواع الأطعمة، الحلويات والمرطبات ، أشعل المُضيف سيجاره، لُقها بنفسه، وبعد أن أضطجع ، تجبّد، أرخى العنان لجسمه ومدد ساقيه ، نفث من رثنيه سحابة دخان كثيفه ، توجه الي وقال: " كيف حال دكتورنا؟" مشدداً على الكلمه الأخيره والتي هجّأها بالتفصيل .

" بخير . أحمده لله" أجبتُ.

أشار تصرف أبو العجول الى بداية التفاوض حول الشراكه مع عمّي . حدثت أن الأطراف يفحصون كل من جهته فطنه، يقظة مرافقي الضيوف الشباب، بأسئله ونقاشات بالتحديد لا تتعلق بالتجاره . يدفعون إلى مبارزه كلاميه . تذكرتُ أنه توجب عليّ عنقره عقال عمّي.

" دكتور!" أستمروا أبو العجول لافظاً الكلمه بحزم وهول محاولاً التأثير على أعصابي، " أودُ أن أسألك سؤال، إذا ممكن!" توقف، سمرَ نظره في نقطهٍ بالسقف

منتظراً جواباً. أنزعج والدي من إرادة المُضيف بإدخالي تلك الوضعيه وقال. " لكنه ليس بدكتور. لقد تعلم السنه اللغه الإيطاليه. أي سؤال تريد أن يجيبك عليه؟". كان أبو عمر الجاهه المتقدم سنأ يتفحص سمات وجوه المشاركين في المبارزه, وتخمين ردود الأفعال والتقارير في كيفية إستمرار الحديث والنفاش. نظرتُ إلى أبي وإلى أبو عمر برضى وإسترخاء مومناً برأسي موافقتي على خوض المبارزه الكلاميه.

" صرّح عن سؤالك يا أبو العجول!" قرر أبو عمر بثقة القاضي والقائد. حينها, رتب المُضيف جسمه بشكل إستنفاري. ثبتت نظره بعيني, وبعد أن نفث سحابة دخان كثيفه, ورغم تحذير والدي له بأنني لم أكن دكتور, سأل. " بعض الأحيان أشكو من صداع قوي وغريب. لم أجد أي دواء لهذه العله. كيف أستطيع الشفاء؟"

" كيف يكون هذا الصداع؟"

" صداع . كيف يمكن أن يكون الصداع؟ "

"متى تشكو من هذا؟ خلال الليل أم في النهار؟"

" خاصة ساعات العصر . أشعر بوخزات تصيب رأسي "

"هل يصيبك هذا كل الأيام؟"

" لا . ليس كل الأيام "

"أين تتواجد عادةً حينما يصيبك الصداع؟"

" أين علي أن أتواجد؟ في الدكان "

" أي ساعة تفتح الدكان؟"

" في الصباح. متى علي أن أفتح الدكان؟"

" وفي الظهر ماذا تفعل؟"

" ماذا علي أن أفعل ظهرا ؟ تلك الساعه أكون في الدكان!"

" أين تتناول طعام الغداء؟"

"أكل في الدكان!"

"وبعد الغداء, ألا تتوجه الى المسجد للقيام بالصلاة؟"

"لا . أكون في الدكان بعد الغداء"

" وحتى في الدكان, ألا تقيم الصلاة؟" سألت لكن المُضيف لم يجب شاعراً

بالإحراج. ظهر من أبو عمر والحاضرين إنتباه شديد وحب إستطلاع لمعرفة نهاية

النفاش, فأكملتُ: " قلت أن هذا الصداع يصيبك خلال ساعات العصر؟" سألت

بجدّيه, حذر وحسم.

" نعم. بعض العصور يصيبني وأخرى لا!"

" تقول أنك تكون في الدكان منذ ساعات الصباح . هناك تتناول طعامك ولا تؤدي

الصلاه, وأن الصداع يصيبك مرات معينه. أقول لك ذاك اليوم الذي لا تتبع به,

حينما ترى الخزنه فارغه يتفجّر رأسك من الصداع!" قلت بشكل تقريرى جاعلاً كل

الحاضرين يضحكون وخاصةً القاضي أبو عمر والذي علّق: " معك كل الحق يا

دكتور."

أسترخى أبو العجول لإجابتي المازحه والتي أعتبرها إشارة لجوٍ عائلي بين

الطرفين وقبل توديعه قال: " إنشاءالله, وبمباركة الدكتور سنتجح ورشتنا".

30 بسملة امريكيه بإسم الجهاد. فرانتشيسكو بتراركا يُقنع الطالبان والذين بدورهم يباركون الطالبان وبقائي في البلد الجميل
12 نوفمبر 2001

بنت , هذا الصباح, قناة الجزيرة أخباراً حول تقدم تحالف الشمال المناهض للطالبان, نحو العاصمة كابول, مُنوهةً بأن القيادة الأمريكية ترفض دخول المدينة قبل أن تتشكل بها حكومه تمثل البلد.
نقلت أيضاً مقابله صحفيه مع الزعيم الروحي لتحالف الشمال . متدين , يرتدي لباساً تقليدياً للمسلم, لحيته طويله. وهذا قبل أن يجيب على أسئلة الصحفي , قام بطقس البسملة والحوقله ومن بعدها أشار الى أهمية إنتصار جيشه على الطالبان. ذاك الجيش , فقط حتى أمس الأول كان يرتدي ألبسه عتيقه وبعد وصول الأميركيان ظهر بألبسه عصريه. أظهر الريبورتاج بعدها مناظر التدمير التي لجحت بالمدن ذاكراً بأن المستشفيات غير قابله لإستيعاب المُصابين.
ومن ثم قوبل أحد المسؤولين في حركة الطالبان, أيضاً هو ملتحي ويلبس مطابقاً لخصمه. عبّر شيخ الطالبان , بعد البسملة والحوقله عن صلابه جنوده, مؤكداً أنه بدون مساعدة الأميركيان فإن تحالف الشمال لم يكن ليحلم بهذه النجاحات , وأن النصر الأخير سيكون حليفه.

"ومن سيدفع مصاريف الحرب: تكاليف الطائرات, القنابل, أجرة الجنود وتعمير البلاد؟. كل شيء له ثمنه. رغم أن المسؤولين الأفغان , يلبسون بنفس الطريقة ولا ينسوا أن يُبسملوا ويُحوقلوا قبل الإدلاء بالتصاريح فأنهم حول هذا الأمر لم ينتبهوا.

كنت قد عدت الي البيت خلال الفرصه الصيفيه بعد السنه الثالثه من دراستي . وقد وجدتُ أن أهلي كانوا قد دبروا لي خطبةً مع قريبتيني والتي كنت أجعل والدها يُعنقر عقاله , إعتزازاً بي. لم أكن أوافق على ذلك غير أن أهلي كانوا قد ضمنوا لي أن تلك الخطبه يمكن أن تُفك, حينما وإذا أردنا. أصرتُ أمي على تلك الخطبه لأنه, وفق رأيها, ذلك يسمح لعمي بعنقره عقاله أكثر. أثار هذا التبرير حفيظتي فقلت لأمي مازحاً: "أتريدني مني أن أعيش هذه الحياة مشترطاً بعقال عمي. آخر المطاف سوف أُطير العقال عن رأسه". قلت وضحكتُ أمي من قلبها.
وفعلاً, كنت قد قررت التخصص في إيطاليا والخطيبه كانت قد قررت مصيراً مختلفاً عن خيارتي ولذلك فُكّت الخطبه.

تخرجت وبقيت في إيطاليا. أنتقد الكثير قراري هذا, وخاصةً الجهات المتدينه التي أعتبرته تخلياً مني عن جذوري الثقافيه وحياته للإسلام.
صيف عام 1990 كنت في زيارة لبلده أركوا بتراركا الواقعة على هضبة في منطقة الفينيتو حيث يتواجد ضريح الشاعر فرانتشيسكو بتراركا الذي ذكّرني بأماكن طفولتي وهناك كنت قد كتبت قصيده.

بعد أسبوعين دعنتني أختي لحفلة زواجها, فرجعتُ للبيت. أنتهتُ الإحتفالات وصباح ما أجمع في بيتنا أقل بقليل من دزينه رجال من جاهة المحاميد. دعاني أبي الى ذلك الإجتماع منبهاً إياي أن الجلسه تُخصني. تواجد في الجلسه شابين متدينين , يلبسان ويشبهان الطالبان الى درجة إمتزاجهم بهم وإستحالة تفرقتهم عنهم. بدأ أحدهم بالتكلم, وهذا كان أحد قيايدي الحركه الإسلاميه في البلد ومُحرر صحيفتها. هاجم في كلمته أوروبا مُدّعياً أنها جاهليه وأنه تعم إيطاليا مشاعر ضد الإسلام والكفر.

أنتقد بشده العادات والتقاليد في إيطاليا , منبهاً أن من يتبع في منهجه العقليه الإيطاليه ومن يُعجبُ بها , مثلي , سيكون مصيرهم الحتمي جهنم.

شارك في ذلك اللقاء أيضاً أبو جمال وهو مُسن وكان يتزعم قرابة خمس وعشرون الف نسمة من المحاميد وكان قد تخطي الثمانين سنه.

" الأوروبيون ليسوا كفرة . إن معظمهم مسيحيون " أجبتُ ذاك الشيخ والذي كان يتصرف وكأنه مُلاه.

" إنهم مُلحدون. لا يعرفوا الإيمان. يكرهون الإسلام. يشربون الخمره. يستعبدون الشعوب ويستغلوا المسلمين " تكلم الشيخ بصوت جهوري وواثق.

" يُصنّف الإسلام الناس وفقاً لهذه الدرجات:المسلمون, المُوحدون (أهل الكتاب, اليهود والنصارى), المُشركون (والذين تواجدوا بكثره زمن بداية الرساله النبويه) , الكفار وفي القرن الأخير أُضيف الى هذه القائمه حضيض السلم وهم الملحدون.

يدعو الإسلام الى تدقيق الأمور . الطليان ليسوا بكفار! " أجبتُ على الشيخ.

" في كل الأحوال الغرب عدو الإسلام " أعقب الشيخ.

"الجهل هو عدو الإسلام. الكراهيه العمياء عدو السلام والإسلام. أمارس مهنتي كطبيب في إيطاليا ولا أشعر بتلك درجة العدائيه تجاهي!" وضحّت موقفي.

في تلك اللحظه بدأ أبي بالتدخل , حينها فهمت أن ذاك النقاش كان نوعاً من محاكمة لي , وكان يتوجب على الحاضرين أن يُعبّروا عن حكم تجاه موقفي في الحياة في إيطاليا.

" إذا حدّثنا . هل هناك على باب عيادتك لافتة تحمل إسمك؟" سألني أبي محاولاً التسهيل على أطراف النقاش فهم أفكارى وخيارى.

" نعم مكتوب بالخط العريض والجميل صلاح محاميد, والناس تُدرك أنها تأتي للعلاج لدى مسلم " أجبت وأردف الوالد"يعني دعنا نفهم : هل يُسعدُ المرضى ان يعالجهم مسلم؟"

ليس كل الطليان في هذا متساوو الفكره. هناك قسمٌ يفضل التعالج لدى ابن بلده كما يحدث هنا أيضاً, هناك آخر لا يهتم بالموضوع والقسم الثالث يأتي للعلاج لديّ لأني مسلم"

" وهذا القسم الثالث هل يسألك حول ماهية الإسلام؟" سألني والدي.

"دائماً وأنا أشرح لهم المبادئ المسالمة لدينا" أجبتُ.

" إذا كان كذلك , لماذا جئت الى هنا, لماذا لا تبقى في إيطاليا إذا كنت تفضل الطليان علينا" تساءل مستفزاً الشيخ الملثحي.

" لأني أريد أن أكون حيثما أشاء" أجبت على إستفزاز الشيخ , وأردفت" أما أنت فإشرح لي الآن مغزى ذلك المقال الذي كتبتّه في صحيفتك. تهاجم الشعب الروماني والذي تصفه بالشيوعي لأنه خلال زيارتك لبوخارست لاحظت فقراً وإجحافاً. قيل أي شيء قرر الشيوعيون بأنفسهم دون تدخل الغير بتغيير نظامهم , لأنهم كانوا قد أكتشفوا وأعترفوا بعدم فاعلية تلك الأيديولوجيه وأرادوا أن يفتحوا عيونهم من أجل تحسين ظروف حياتهم. يقرر الإسلام بأن من يعترف بذنبه فإنه يقوم بفضيله

والرومان يفعلون هذا. يمجّد القرآن الكريم التعرف على الحقيقه ويرفض الجهل والتزييف . ومن أجل هذا أقول لك بأن الرومان أكثر إسلاماً منك. من السهل أن تنشر تعاليم الإسلام هنا فكلنا مسلمون. لكني أريد أن أراك كيف يمكنك أن تُثقع أصغر أوروبي حول الإسلام مع كل هذا الخليط والتناقض في أفكارك. لا تنقصني تعليماتك ولا فتواك لأن الله تعالى يقول إن أكرمكم عند الله أتقاكم - وأنت لا تتقيه.

لأنك دون ان تتعرف جيداً على أفكارى ودون أن تعرف إيطاليا , تأتي بأفكار لا رأس لها ولا ذنب. تسألني لماذا جئت هنا؟ لقد أشنقت. لأني أسبوعين خلت , زرت

مقام الشاعر بتراركا وبيته ذكرني ببيت جدتي آمنه. هناك كتبت قصيده مُهداة
للشاعر وأبياتي أعادتني الى هنا"
أستمع الشيخ بصمت , ومختار المحاميد, ابو جمال, أراد توضيحات حول تلك
القصيده. شرحت أن البتراركا كان من أوائل من وضع أسس النطق بالإيطاليه.
وبعدها تحدثتُ عن بيت الشاعر وعرضت على الحاضرين صُوري في ذلك البيت.
من ثم دعوني لإلقاء القصيده. لاحظ بحكمه أبو جمال أن الشاعر الإيطالي يمكن أن
يمتلك دماً مسلماً, لأنه, حسب رأيه, في قصيدتي أخاطبُ مباشرةً الشاعر الإيطالي ,
يعني أن روحه كانت قد أستقبلتني كضيف عزيز ولهذا فإن بعض أبيات قصيدتي
كانت موحاة من روح الشاعر لتشجيعي العوده الى دياره. قال الحاضرون ,في
الختام, أن زيارتي الى مقام البتراركا يُعتبر كالحج, لأن باني أسس النطق بالإيطاليه
والذي وُحِد شعبه بالكلمه يشابه الى حدٍ بعيدِ المعتقدات الإسلاميه. ذلك الدين الذي
يُشكل أساسه ومُعجزته اللغه : القرآن الكريم.

31 البابا يوحنا الثاني يُبارك بالشيخ

13 نوفمبر 2001

سلمني ساعي البريد , هذا الصباح , حزمه من الرسائل, واحده منها أتلفت صدري
فقط بعد قراءة إسم المرسل على الظرف: أمانة الفاتيكان. أرسلتُ الأسبوع الماضي
إهداءً للحبر الأعظم, آخر منشوراتي " شظايا الروح", مع كلمة إهداء كتبتها على
أولى الصفحات الداخليه. أيضاً , عندما أبعثُ الى رئيس الجمهوريه منشوراتي أكتب
له بقبضتي. عادةً, تجيب هذه المؤسسات على رسائلي, لكن سرعة إجابة الفاتيكان
وفر لي شعور بالسعاده.

عصرَ هذا اليوم , تدمر تقني الأسنان , جان لوكا جيرارديلو, والذي يعمل لدي
لأزمة العمل الحاليه. لاحظ أنه , نسبةً لسنه الماضيه فإن طلبات أطباء الأسنان من
التقنيين لإنجاز طواقم أسنان قد أنتصفت , أن المرضى يُفضلون البرامج العلاجيّه
بخسة الثمن.

لا يثق الناس بالمستقبل. تُجهز نفسها لحالات أسوأ. تستهلك أقل. تُفضل التوفير . لا
تُسافر وتنغلق على نفسها.

تذكرتُ تشاؤم جورج بوكا في مقاله قبل ثلاث أسابيع والذي يبدو فيه تخوفه من
إنسحاب وتقهر أوروبا نحو القرون الوسطى.
اليوم وضحت لي ملاحظة التقني أن عصر الظلام يشكل لدى الأوروبي حاله ذهنيه
مخيفه وإليها لا يسمح الغرب بالتقهر.

تؤدي الأزمات النفسيه الحاده الى حالة الإشتياط وعدم التخلُّص من هذا يؤدي الى
الإنسحاب الى مواقع ذهنيه قديمه. عندما ينعدم الضوء في نهاية النفق يُحتم هذا الى
التراجع. وهذا يفسر قلق جورج بوكا. ماذا يوجد خلف الثوره التتويريه, في
أوروبا, غير عصر الظلام؟

أكملتُ هذا العصر علاج طالبه مغربيه. لقد ذكرتني أنه بعد أيام سيحل شهر
رمضان وهي سعيدة للصيام.

أليوم, بعد أن عبّر تقني الأسنان عن قلقه لأزمة العمل سألني مُستطلعاً "ألا يقلق حضرتك كطبيب , مع الإسم الذي يحمل, إمتعاض الطليان من الأجانِب. ألا يقلقه قلة الربح؟"

" لا . هذا لا يقلقني . في أسوأ الحالات سأقوم بالصيام. انت أيضاً تستطيع أن تصوم, جرّب فقط ليوم واحد. حاول أن تصير مسلماً ليوم واحد. فقط من أجل أن تتعرف على حقيقة الإسلام. بعد هذا إذا رغبت في تقديمهم, أو لفظهم ستكون أكثر مصداقيه. من الإنصاف أن تُجرّب" أجبت وأكملت "كذلك قام البابا بالطلب من المسيحيين الصيام آخر يوم في رمضان "

وأطلعت التقني محتوى الرسالة التي وصلتني من أمانة الفاتيكان.

" السيد المحترم,

بخطوه ثمينه من التقدير, بعثت الى الحبر الأعظم, تعبيراً تقديريه لمهمته, مرافقةً بإهداء منشوراً شعرياً.

إعترافاً منه بهذا الجميل, فإن قداسته, حيث يأمل تضاعف الجهود في كل مكان من أجل بناء صرح السلام, برضاء , يتضرع اليك التبريكات الوفيره من الأعالي ويهديك سلامه.

بمشاعر من التبجيل أرافق توقيعِي .

مون سنيور بييدرو لويس كوينتاناز

م.ق.

يُبين هنا الكاتب وهمية خوف الأوروبي من الإسلام . إنتشار الإسلام يوهم الأوروبي , بسبب تداعيات المعادله (إسلام - عصر الظلام), برجوع قيم القرون الوسطى.

يعني عصر الظلام بشكل عام التعقيم الثقافي وهذا يجر ويضم القهر الفكري , شكل وجود الذات , كيفية التحضير للمستقبل والتعامل الإجتماعي . لن يجلب إنتشار الإسلام في أوروبا هذه القيم لأنه بشكل بسيط لا يعرفها. وُلدت الحضاره الإسلاميه حينما كانت تأفل تلك الرومانيه والطبقيه ومن هناك وصلت أوروبا إلى القرون الوسطى.

في ذات الوقت نحى الإسلام منهج , يختلف عما حدث لنا, لكنه يشهد على مستويات عاليه من التقدم, ومن هذه الفن التشكيلي الذي أثر بشكل إيجابي مكثف علينا.

ولهذا يثمن الكاتب جذوره حينما ينفي تأثير الأزمه الحاليه على وضعيته الإقتصاديّه , ذلك أن تاريخه لا يحوي إسقاطات القرون الوسطى وإذا أضطر للإسحاب نفسياً الى مراحل تطوره الأنثروبولوجيه الأولى قسيجد في الصيام, أي تعاليم إرثه , الخلاص.

كلمه التقديم للبرفوسور اينيو روسينيولي

صلاح محاميد شاعر فلسطيني يعيش في إيطاليا. نشر حديثا يوميات حربيه. أن السرد الهيكلي لزخم المحتويات المعقدة تشير الى شخصيه الكاتب المركبه وثقافته المتشعبه , غير ان عروجه على ضفاف الشعر الهادئه والمنسجمه تكسب طروحاته قوه الاقناع وطاقه في النسيج الكتابي. صلاح, قبل كل شئ شاعر, يملك الروح قبل اتقان الوسيله. يستوعب تقلبات الاحداث وينجح في بلورتها في قالب عاطفي.

يومياته تذكرنا بشطايا الروح, البوئيمالتي نشرها حديثا, تلك الشطايا المتسلسله في ترابط عضوي وتصمد في وجه الاحداث اليوميه لابداع الحياه. لكن صلاح ايضا فلسطيني ينحدر من عائله عريقه ونبيله. ينتمي لشعب يجابه منذ قرن مأساه وحاليا يهوي الى القاع, مثيرا قلق العالم الذي ينظر من بعيد , كثيرا بعيد. مع هذا فان صلاح لا يفقد الأتزان , لا يلجأ الى التطرف. وفي زمرية هذه الاحداث يصحبنا الى عمق الكلمه وارشادات القرآن التي تنبذ العنف . وهذا ما أشار اليه الرسول (صلعم) حينما سأله احد عن ماهية المسلم" المسلم من سلم الناس من لسانه ويده" أجاب رسول الله. تبدأ اليوميات وتنتهي خلال شهر وفيها يحدثنا عن أشياء مهمه حول طفولته وسن يفاعه, يشرح فيها حول التربيه, روابط العائله, التقاليد والعادات الأصيله, المعتقدات الروحيه , حول تعامل ثقافته مع قضايا الحياه والموت, حول السياسه وتاريخ وطنه, وفي هذا يسجل تاريخ شعب يأبى أن يزول. يتخلل تلك الذكريات الذاتيه ملاحظاته حول الشرق والغرب , ردوده على ورد من مفكرين غربيين في صحافتنا خلال الحرب والتي تخص الاسلام. يستخلص القارئ بأن الديمقراطيه, احترام الغير, العمل الجماعي, تحمل الاختلاف في المفاهيم والاستعداد للفهم هي من المكونات الأساسية لثقافته وشخصيه الكاتب . " أقرأ" أنها أول الآيات وتمثل حقيقه اسس الرساله الاسلاميه- مع انها ليس دوما وبتكامل مطبقه- تعلم وتفهم وعي الاخرين. هذه الاصاله تناقض تماما فهمنا ووعينا المزيف لارشادات الاسلام. في إيطاليا, عوضا عن بعض الندوات المتخصصه فإن الاسلام يناقش فقط من وجهه نظر التعايش, لكن هذا يحتاج الى فهم عميق وحساسيه عاليه لاستيعاب ماهيه الاسلام وكل اسهام ذكي يكون ثمينا. وهذا ما تحويه يوميات صلاح, كما نعرفه في كتبه الاخرى وفي مداخلاته الاعلاميه ومقالاته الصحفيه. أن رسالته واضحه, اسلامه متسامح , ليس ذلك المتوقع متباها بانجازات اسلافه وملتسحا بجدار يحميه من عالم مبهم, بل ذلك المتفتح الباحث حتى الرمق الاخير لاحتواء ثقافه ومعرفة الاخرين, وبصبر وثقه يستقبل اختلاف الاخر عنه ويستعد لتقديم المساعده والمساهمه في بناء الحضاره مع غيره. [كتب صلاح" ليس الاسلام ان تربى ذقنا او ان تلبس حجابا أو دسداشه. على الأقل ذلك الاسلام الذين يظهره على شاشه التلفزيون ليس اسلامي" . هكذا كتب وسيستمر بتوضيح حقيقه الاسلام حتى يصبح ايضا ملكنا.

